الفصل الأول

عقدة الأندلس
الماضي مازال حاضراً

obeikandl.com

obeikandl.com

البحث عن عقدة الأندلس

التأمل في علاقة الشرق المسلم والغرب المسيحي ودراسة عناصر وأشكال وتاريخ هذه العلاقة المعقّدة قادنا إلى العثور على تلك العقدة العميقة والقوية والراسخة عند الطرفين، وهذا ماتوصلنا إليه في المرحلة الأخيرة من البحث في هذا الموضوع، فوجدناها عقدة قائمة قوية البنية راسخة في الأذهان ومتغلغلة في القلوب. ورأيناها واضحة، بل إنها الرسوخ الفكري القائم الذي ينادينا لأن نكتشفه ونتحاور معه ونكتشف أشكاله وصفاته. كانت عقدة الأندلس قائمة واضحة وتدعو أي باحث لاكتشافها، لكن لم يجرؤ أحد من قبل على محاكاتها ولا حتى على البحث عنها. فالغرب منحاز وخائف من البحث في التاريخ الإسلامي. والمسلمون اعتادوا على تلقف الفكر الجديد من الغرب نفسه. وهانحن اليوم نوضح ملامحها ونحلل عناصرها ونعرضها للمسلمين وللغربيين على السواء ليتمكنوا من حلّ رموزها ومن إشفاء فكرهم من موروثاتها.هذا من ناحية، وبالبحث العكسي أيضاً من ناحية أخرى، فإن دخلنا في عناصر وخلفيات وموروثات هذه العقدة سنصل أيضاً إلى نتائج مماثلة للبحث الأول وسنكتشف بأنها العقدة التي تتحكم في علاقات الشرق والغرب منذ قرون وحتى يومنا هذا. فالحملات الصليبية ومرحلة الإستعمار الغربي وصناعة الصهيونية الغربية وإرسالها إلى قلب العالم الإسلامي ثم الغزو الغربي لبلدان إسلامية كل ذلك من نتاجات تلك العقدة التي نطلق عليها في هذا البحث اسماً جديداً في عالم الفكر والتاريخ الإجتماعي (عقدة الأندلس).

عقدة الأندلس عند المسلمين

إنّ غزو المسلمين القديم لأوروبا والقضاء على الجيوش الغربية التي تصدّت لهم آنذاك. وتمكنهم من إقامة ممالك عربية أو إسلامية استمرت لسبعة عقود من الزمن، تلاها تآمر على المسلمين ودحرهم عن أوروبا كلها، وإبادة كافة الأوروبيين الذين كانوا قد اعتنقوا الإسلام: تلك الأحداث التاريخية التي يصعب نسيانها

وتضاف إليها الحملات الصليبية الأوروبية على الشرق. تلك الصفحات الكبيرة من التاريخ تسببت في استحداث عقد حقيقية لدى المسلمين العرب والأوروبيين المسيحيين على السواء. وقد استمرّت هذه العقد عبر القرون الماضية. ونقترح في هذا البحث إطلاق تسمية "عقدة الأندلس" عليها. فعقدة المسلمين من تلك الصفحات تجعلهم يعتبرون أنّ أوروبا هي الأرض المفقودة والمجد الضائع والزمن الذي يجب العودة إليه والملك والإرث المسروق من المسلمين. وإنّ غالبية المسلمين يتغزلون بتلك الحقبة من التاريخ ويتحدثون عن الرغبة بعودتها. فالشاعر الباكستاني محمد إقبال يقول في إحدى قصائده العظيمة:

الصين لنا والعرب لنا

والهند لنا والكل لنا

أضحى الإسلام لنا دينا

وجميع الكون لنا وطنا

وهذه إشارة واضحة إلى المجد الغابر الذي عرفه الإسلام في بقاع كثيرة من العالم. وإنّ عقدة الأندلس عند المسلمين تحرّضهم وتدفعهم بقوة وبوضوح نحو العمل على استيطان أوروبا من جديد وأسلمتها وامتلاكها وإخضاعها إلى السيطرة الإسلامية. فمشكلة المسلمين التي تتمثّل في عقدة الأندلس هي أن أوروبا كانت فضاءً إسلامياً وأصبحت فجأة فضاءً مسيحياً، وهذا الفضاء الذي كان إسلامياً ذات قرون من الزمن يحلم الكثير من المسلمين باستعادته. وتبدو أوروبا للمسلمين حالة تاريخية خاصة ووضعاً استثنائياً في التاريخ الإسلامي، فتاريخ الفتوحات الإسلامية بشكل عام يشير إلى استقرار الفضاء الإسلامي واعتماد الإسلام كدين في البلدان التي وصلت إليها الفتوحات. ففتح بلاد فارس ومناطق في الصين وباكستان وغيرها أدّى إلى استمرار الوجود الإسلامي كدين لتلك الشعوب. إلا أن سقوط قرطبة وماتلاه من تصفية وذبح لأتباع الدين الإسلامي قضى نهائياً على وجود المسلمين في أوروبا وبالقوة والقتل والتهديد حيث أحلّت محاكم التفتيش بالقوة الديانة المسيحية محلّ الديانة الإسلامية في كافة مناطق أوروبا. وكانت هزيمة

opeikandi.com

المسلمين في الأندلس مأساوية للغاية إذ تمّ التآمر على المسلمين وذبحهم وتمت إبادة الظاهرة الإسلامية هناك إبادة تامة ربما لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشرية، وتمت إبادة الفكر والعلم والفلسفة والنتاج الثقافي الأندلسي بكامله. ولعلّ مأساوية تلك المعركة النهائية تجعل بعض المسلمين يحلمون بالانتقام من الغرب ليعودوا إلى حيث كان مجد أجدادهم.

ثمّ إنّ مايزيد من استفحال هذه العقدة في زمننا هو أنّ أوروبا أصبحت غنية وقوية ومتحضرة وقوية النفوذ. وهي أيضاً من حيث موقعها بلاد الخصوبة والوفر والماء. فعيون المسلمين لاتتطلع مثلاً إلى بقعة فقيرة في أفريقيا كان قد وصل إليها الفتح الإسلامي ليستعيدوا مجدهم فيها. وتختلط الرؤية الإسلامية لأوروبا المعاصرة بعقدة الأندلس فيعتبر الكثيرون بأنه كان للإسلام فضل كبير على تطور أوروبا وعلى حضارتها الحديثة بالكامل.

وحتى اليوم تختلط الصورة الأوروبية الحديثة بصورة الأندلس الغابر في أذهان بعض المسلمين. فنزار قباني في قصائده الجميلة يرى أن حوائر ودروب غرناطة اليوم هي ذات طابع دمشقي خالص. بل هو يرى أنّ القطة التي رنت إليه هي حفيدة قطط الشام. ويكتشف في الفتاة الغرناطية التي جذبته أنها حفيدة طارق بن زياد. يقول نزار قباني في قصيدته:

" في مدخل الحمراء كان لقاؤنا

ماأجمل اللقيا بلا ميعاد

وجه دمشقي رأيت خلاله أجفان بلقيس

وجيد سعاد

... عانقت فيها عندما عانقتها

رجلاً يسمى طارق بن زياد."

نزار قباني يعكس صورة التطلّع العربي والإسلامي نحو الأندلس. فقد وقف نزار في غرناطة وقال لأهلها هذه المدينة هنا كانت لأجدادنا ، إنهم كانوا هنا وخلّفوا إرثاً وأحفاداً. ومنكم أنتم من هم أحفاد العرب.إذ يقول :

" قالت هنا الحمراء أرض جدودنا.

فاقرأ على جدرانها أمجادي

أمجادها .!؟

وصحت سنين سبعة في تينك العينين بعد رقاد.

ياليت فاتنتي الجميلة أدركت

أنّ الذين عنتهم أجدادي.."

ولعلّ نزار قباني وشعره هذا يمثّل الرؤية العامة الشائعة عند العرب والمسلمين تجاه الأندلس. فهو كغيره يحمل عقدة الأندلس المؤلمة.وهو يتألم بحسرة كبيرة وربما أكثر من غيره على فقدان ذلك المجد الغابر. وتزيد من اشتعال حرارة هذه العقدة تلك القصور والمساجد والدروب التي مازالت قائمة ومازالت تنطق بانتمائها العربي الإسلامي.

وفي الشارع الدمشقي كان آباؤنا ينشدون في مناسبات عديدة أهزوجة تحمل الحلم بامتلاك الأندلس وبقاع أخرى من أوروبا ، والأهزوجة كانت في الأصل موجّهة للجنرال الفرنسي الذي كان منتدباً على سورية في الثلاثينيات من القرن الماضي. تقول كلماتها :

"..خذ رجالك وارحل عنّا

وباريس مربط خيلنا.."

الإسبان اليوم شعب يعيش في موطنه وهو موطن أجداده الأوروبيين وبنفس الوقت فإنه ثمّة شعب آخر يتطلّع طوال قرون ولايتوقف عن الحلم وربما السعي عند البعض للعودة إلى امتلاك ذلك البلد. وبهذا تتضح معالم عقدة الأندلس عند الطرفين.

مهما تحدثنا عن نتائج اندحار العرب المسلمين عن الأندلس فلن نستطيع أن نصف هول تلك الحادثة. فذلك اليوم كان يوماً فاصلاً بين مرحلتين من الزمن: زمن ماقبل الأندلس وزمن مابعده. وذلك اليوم كان يرسم لمرحلة جديدة في العلاقة بين الغرب والعالم الإسلامي كله. وهذه المرحلة مازالت قائمة حتى يومنا هذا.

عقدة الأندلس عند الأوروبيين

عقدة الأندلس والغزو الإسلامي لأوروبا مازالت ماثلة في أذهان الأوروبيين عموماً. وقد لمسنا أنّ هذه العقدة تحفّز في الأوروبيين دافعين اثنين وهما:

أولاً : دافع العدائية للمسلمين والعرب ويمثل هذا الدافع خوف الأوروبيين من عودة أوروبا إلى الفضاء الإسلامي. وانطلاقاً من هذا الدافع يستمر الغرب بغزواته المتتالية إلى بلدان العالم الإسلامي، ويستمر في دعم الكيان الصهيوني الذي صنع أساساً في الغرب وتمّ تصديره إلى قلب العالم الإسلامي ليبقى عنصر شغب وتخليف وحروب مستمرة. ونلاحظ من استطلاعات الرأي الكثيرة بأن حوالي ٤٠ ٪ من الأوروبيين يؤيدون إعادة غزو الغرب للبلدان الإسلامية واستعمارها وسلب ثرواتها. وهذا يعني أيضاً تخليفها ومنعها من امتلاك القوة التي تمكّنها من غزو أوروبا من جديد. وبالطبع فالأوروبيون ينطلقون في هذا الموقف العدائي من عقدة الأندلس نفسها.

ثانياً : دافع التفكير والتأمل بالتاريخ ودروسه، وهؤلاء الذين يمتلكون هذا الدافع ليسوا أقلة في أوروبا. ويتصاعد عددهم باستمرار. وقد كان هؤلاء يعانون من عقدة الأندلس الدارجة في أوروبا وفجأة يتأمل الواحد منهم تلك العقدة ويسعى لتبديدها، فيتسائل عن حقيقة الأحداث التاريخية وعن حقيقة مافعله المسلمون في الأندلس وعن حقيقة الدين الإسلامي نفسه. ومن هذه الفئة قسم يعتنق الدين الإسلامي ويتوصل لمبدأ الحوار الحضاري مع العرب والمسلمين. كما يكتب الكثير من الأوروبيين عن تاريخ الوجود الإسلامي في الأندلس ويعتبره فترة ذهبية كان لها الفضل في نهضة أوروبا كلها.

obeikandi.com

في تلك الفتوحات الإسلامية قتل من الأوروبيين أعداد كبيرة من المقاتلين المدافعين والذين كانوا يحاولون إيقاف الزحف الإسلامي على بلدانهم. ومازالت مقابرهم قائمة حتى اليوم، ومازالت النصب التذكارية التي تخلّدهم قائمة، وتؤدي دوراً بالتحريض والتذكير الدائم بذلك التاريخ، وهذه الذكرى تساهم في تثبيت عقدة الأندلس واستمرارها عند الأوروبيين. ففي جنوب فرنسا منطقة تسمى اليوم (الموت) (*la mourire*) وفيها مقابر لآلاف الجنود الفرنسيين الذين قتلوا في معركة كبيرة واستطاع المسلمون إثرها الزحف شمالاً حتى وقعوا في فخ معركة بلاط الشهداء المسماة بالفرنسية (*poitier*) ذلك التاريخ يراه الأوروبيون مؤلماً وهم مازالوا يخشون عودة متوقعة للمسلمين إلى بلدانهم. ويخشون حدوث مذابح لشعوبهم وتدمير لحضارتهم. ويكتب الكثير منهم اليوم معبرين عن هذه الخشية وعن مايعتقدونه وحشية وتخلفاً عند الشعوب الإسلامية التي ستدمر حضارة الغرب ومعالمه. ولسوء الحظ فقد جاءت اعتداءات القاعدة على برجي التجارة العالمي وفي أنفاق لندن وقطارات مدريد جاءت كعمل تدميري لحضارة الغرب ومعالمه الحديثة. وجاءت ضمن السياق الذي يخشاه الأوروبيون. ومن هنا نكتشف السبب الذي دعا الكثير من الغربيين إلى استذكار الصراع القديم بين الصليبية والمسلمين. والأوروبي بشكل عام يصعق اليوم عندما نفاجئه بذكر تاريخ العرب والمسلمين في الأندلس. وهذه الصعقة التي تعتريه على الفور والتي تجعله يخشى محدّثه العربي ويخشى الخوض في هذا الموضوع ، هذه الصعقة تعبّر عن استفحال عقدة الأندلس في ذاكرته. فقد تخسر صديقاً أوروبياً إذا بادرته بالحديث عن أمجاد العرب والمسلمين في الأندلس أو عن فضل الحضارة الإسلامية على الغرب.

عندما اندحر المسلمون من أوروبا ارتكب الغرب مجازر إبادة قذرة بحق مواطنيه المسلمين. فقد جرت عملية تمشيط كاملة للمجتمعات الأوروبية وخلالها تمّت إبادة المسلمين بالكامل. وتم التمثيل بجثثهم وتقطيع أجسادهم وسحلهم وهم أحياء وحرق البعض منهم. وبهذه الطريقة البشعة التي تقشعرّ لها الأبدان تمت إبادة قرى بأكملها كان أهلها يعتنقون الإسلام ويتكلمون بالعربية والمازاران. وخشية من تلك المجازر

ارتد الكثير من الغربيين عن الإسلام واعتنقوا المسيحية ظاهرياً، واستمرت المسيحية في أبنائهم وأحفادهم إلى اليوم. ولم يتسنَّ لأولئك المرتدين في تلك العصور أن يعودوا إلى إظهار إسلامهم فقد كانت الكنيسة طوال قرون تتمتع بقوة وتهدد أي خروج عنها، وكانت العقوبة شديدة القساوة، وهي القتل والسفك والإبادة التامة لكل من يخرج عن هيمنة الكنيسة. ومن تلك الأحداث تولّد في أذهان الأوروبيين رعب وقلق وخوف: خوف من العودة إلى الإسلام، وخوف من الإيمان بالإسلام وخوف من عودة ظهور الإسلام. ومجموع هذا يعني الخوف من الإسلام بكل مايحمله. وما هذه إلا ظاهرة عقدة الأندلس. واستمرت هذه العقدة حتى يومنا هذا، ومازال الغربي يخشى عودة تلك المجازر التي ارتكبها أجداده الأوروبيون بحق المسلمين الحاكمين وبحق الأوروبيين الذين كانوا يعتنقون الإسلام.

فعقدة الأندلس عند الغربيين كانت نتيجة إرهاب الكنيسة المتطرفة للأوروبيين وإخافتهم من الإسلام، أي أن عقدة الأندلس الغربية كانت صناعة غربية ولم تنشأ من إرهاب إسلامي لأنه لم يكن آنذاك أي إرهاب إسلامي للأوروبيين.

وفي عصرنا هذا صحت عقدة الأندلس نتيجة لعوامل كثيرة كانت بدايتها فيما فعلته جماعة القاعدة وتبع ذلك خشية الأوروبيين من تزايد نفوذ المواطنين المسلمين لديهم. فظهرت أصوات جديدة تتنبأ بإبادة المسلمين الأوروبيين مرة أخرى. وأصوات تتوقع حدوث حروب صليبية جديدة.

وتصدر عن بعض الكنائس الغربية وعن المتطرفين الغربيين الكثير من التصريحات التي تدلّ على معاناتهم من عقدة الأندلس.

فالغربيون يعتزّون كثيراً بقوميتهم وبانتمائهم الأوروبي وبفضلهم على العالم في الثقافة والصناعة والفنون والمدارس العديدة، وهم يواجهون صعوبة في الاعتراف بتاريخ قديم هو تاريخ الوجود الإسلامي والعربي في بلدانهم. ومن هنا فأكثرهم يحاولون نسيان ذلك التاريخ، ثم إن المناهج التاريخية الغربية الرسمية لاتعترف حتى اليوم بفضل المسلمين على الحضارة الغربية. ولأنهم اضطروا لدراسة نتاج ابن

سينا(Avicenne) وابن رشد وابن خلدون فهم يمنحونهم أسماء غربية بل ويمنحون ابن رشد (Averoee)هوية غربية فيعتبرونه فيلسوفاً غربياً فحسب.

وبسبب العقدة فإن العقل الغربي شديد الانحياز والتعصب لذاته، فتاريخ المجد الإسلامي في الغرب شديد الوضوح للناظرين ورغم ذلك فالغرب يصرّ على قراءته معكوساً، وحضور الآثار الإسلامية في غرناطة والحمراء يصرّ الغرب كله حتى اليوم أيضاً على قراءتها بشكل مغاير لما هي عليه. ويصرّ على ألاّ يرى فيها أية صورة حضارية. والتوحيد الإسلامي الشديد الوضوح والنقاء والذي لامثيل لوضوحه عند كافة الأديان يصر الغرب على ألا يكتشفه بل مازال يصف الإسلام بالإلحاد والوثنية. تلك الرؤى المنحازة ناتجة عن عقدة نفسية راسخة وعن مرض ثقافي متغلغل.

محرقة الموريسكوس مولّدة العقدة

عرفت الحمراء وغرناطة انفتاحاً إسلامياً على الآخر، وتعايشاً سلمياً وديناً بين الأديان السماوية الثلاث، ذلك التعايش والتسامح الذي لم تعرف أوروبا مثيلاً له منذ تلك القرون وحتى اليوم.فقد بني قصر الكازارا المسيحي آنذاك بأيدي عمال وفنانين مسلمين استقدمهم الملك لإنجاز ذلك المشروع. ونرى في ذلك الأثر المسيحي الذي مازال قائماً حتى اليوم نقوشاً إسلامية ودرع كاستيليا ذا المغزى المسيحي. وبنفس الطريقة استقدم مسلمون من غرناطة لبناء كنيسة اشبيليا. ثم استطاع ملك آراغون أن يوحّد اسبانيا بعد زواجه من الملكة. وفتح الباب للمحاكم الدينية المسيحية الخاصة بما سمي (معاقبة المرتدّين عن المسيحية) وهؤلاء هم الذين اعتنقوا الإسلام.

واستخدم مصطلح موريسكوس الذي كان يقصد به الذين اعتنقوا الإسلام والملقبين بالمرتدين عن المسيحية. وبدأت منذ عام ١٣٢٤ محاكمة هؤلاء (المرتدين) وحرقهم في محارق أقيمت لهذا الغرض. وبتوحّد الإسبان وبفضل تآمر الأمير (أبي عبد الله مع الملك فرديناند) واستطاعوا القضاء على الخلافة الإسلامية في جنوب اسبانيا. وبدخولهم غرناطة سلّم المتآمر مفاتيح المدينة للملك ولزوجته الملكة، وانتهى زمن المسلمين هناك. وراحت المحاكم الدينية الكاثوليكية تقضي على المسلمين. فقد

openkanal.com

أمر المسلمون هناك وكان عددهم بضعة ملايين باعتناق المسيحية أو بالإبادة في المحرقة. وقد أبيد في تلك المحارق فعلاً عدة ملايين من المسلمين.

وتشير الدراسات التاريخية إلى أن السلطات الكنسية ظلّت تطارد المسلمين وتطارد الموريسكوس وتحرق بعضهم إلى أن أصبح عدد الذين عادوا إلى المسيحية حوالي نصف مليون شخص.

وهؤلاء لم يعف عنهم آنذاك بل ظلّوا يطاردون حتى تمّ نفيهم إلى أراضي السلطة العثمانية الإسلامية. تلك هي المحرقة التي أعدم فيها ملايين من المسلمين والتي سببت الفراق والخصام الطويل الذي مازال قائماً بين الشرق والغرب حتى يومنا هذا. وتلك هي المحرقة التي صنعت عند المسلمين وعند الأوروبيين عقدة نطلق عليها في هذا البحث اسم "عقدة الأندلس".

لقد ارتكبت المسيحية الغربية التجريبية آنذاك خطأً شديد الفداحة. وصنعت مذبحة رهيبة لايمكن أن يغفر لها تاريخ البشرية. كانت مذبحة ظالمة للغاية. لم يحدث أن ارتكب المسلمون أي نوع من تلك المذابح طوال التاريخ، ولا يمكن أن يحدث مثل ذلك في المستقبل.

فقد اقتيد مسلمون اسبان أبرياء آمنون إلى مذابح تحت راية الصليب المسيحي. واقتيدت النساء والأطفال جماعات جماعات وقطعت الرؤوس في المذابح الكنسية بكل يسر وهدوء. وأعلنت الكنيسة عن تمكنها من محو الظاهرة الإسلامية هناك.

فعندما يخشى الغرب من الإسلام اليوم فإنه في الوقت ذاته يخشى من أن يذبح الغربي الذي يعتنق الإسلام من قبل الغرب نفسه. فعقدة الخوف من الإسلام لاتقتصر على خشية الغربي من المسلمين فحسب بل خشيته الرهيبة والإساسية من الغرب السفاح الذي أباد الإسلام الغربي ذات مرة،

عندما تحدث توني بلير عن ظاهرة الحجاب النسائي الإسلامي في الغرب قال: " إنه من العصور الوسطى." وهذه العبارة تعني بدقة صورة نساء غرناطة وقرطبة اللواتي اعتنقن الإسلام في زمن المجد الإسلامي واللواتي اقتدن إلى المذابح والمحارق وأبدن

obeikandl.com

فيها. ومعنى هذا أنّ رئيس وزراء بريطانيا ٢٠٠٧ يذكّر الأوروبيين بخطورة أن يعتنقن الإسلام.!.ويلوّح لهم بتلك المذابح.

ومن مذكّرات القضاة ورجال الكنيسة الذين كانوا يحكمون على فلول المسلمين الأندلسيين بالإبادة نذكر أنهم كانوا يندهشون في الحكم على مواطنيهم إذ يجدون أنهم لايختلفون في العادات وبعض العقائد عن نظرائهم المسيحيين.

وكان القضاة يجدون مصاعب في معرفة المسلم وتمييزه عن المسيحي. وذلك الأمر يعنينا كثيراً، فهو يدلّ على التفاعل الاجتماعي الكامل والتسامح الديني والتفاهم بين أتباع الديانات.

إنّ مصطلح موريسكوس moriscos يعني الموت للإسلام. فكلمة مورت وتقرأ مور mort تعني الموت وهي المقطع الأول في المصطلح. وكلمة إسلام islam أخذ منها الجزء الأول من المقطع الأجنبي وهو المقطع الثاني في مصطلح موريسكوس. ويمكن للباحث تتبع تفاصيل رهيبة ومشاهدة لوحات نادرة وقديمة عن الموريسكوس في شبكة الأنترنيت وفي المراجع الغربية.

عقدة الأندلس في أدب العصر الوسيط

في أكثر نصوص الأدب الفرنسي الذي نتج في العصر الوسيط والمسمى بالفرنسية نجد انتقاداً للإسلام والمسلمين وهجوماً كبيراً عليهم. وهزءاً واستخفافاً بقصصهم وتاريخهم. وتروي النصوص والقصائد ملاحم شعرية لأبطال أوروبيين فتكوا برجال مسلمين في معارك تسميها تلك النصوص معارك الدفاع عن الدين والله والشعب والأرض. ومن بين أولئك الشعراء يهود فرنسيون. كما تميّزت فنون الرسم والنحت في العصر الوسيط بتمجيد بطولات الغربيين في دحرهم للمسلمين. ذلك النتاج الفرنسي القديم مازال يدرّس حتى يومنا هذا في المدارس والجامعات الأوروبية. وفي قسم الأدب الفرنسي بجامعة دمشق درسنا تلك النصوص واطّلعنا على تلك الفنون التي كانت تهزأ بأجدادنا المسلمين. ومن الطبيعي أن ندرسها نحن العرب

المسلمون. لكن لنكتشف الآن مدى تأثيرها على الطالب الأوروبي. إنها تعمّق في عقيدته الكراهية للمسلمين. وتمنحه صورة مزيفة عنهم. فتصورهم بأنهم ملحدون وكفار وقتلة ومتوحشون وكارهون. كما ترسّخ تلك الآداب في عقل الأوروبي عقدة الخوف من المسلمين وعقدة كره المسلمين. هذه العقدة التي مازال الغرب يتعمّد تثبيتها في مواطنيه بدأت اليوم تنجلي وبدأت تظهر لكل غربي حقيقة أن المسلمين مؤمنون وموحدون لله. وأنهم متحضرون ومحاورون للغرب وللمسيحية. ولعلّ لحظة انجلاء العقدة عند الغربي ترتبط بلحظة اكتشافه للإسلام. فالغربي يعرض اليوم عن ذلك الموروث الكاذب ويكفر به ويتحرر من عقده وزيفه ويتعرّف على الإسلام ومن هنا تكثر ظاهرة اعتناق الإسلام. وقد اخترنا صورة غلاف هذا الكتاب من فنون العصور الوسطى التي كانت تعادي المسلمين بشدة.

انتقال وانتشار عقدة الأندلس الغربية

لإدراك حالة العقدة عند الأوروبيين يمكن مقارنتهم بالروس أو الصينين أو اليابانيين أو الأفارقة السود. ففي المناطق التي ذكرناها لايحمل الناس ذلك العداء للإسلام والخوف منه مثلما يحمله الأوروبي. فالروس أصدقاء للمسلمين والعرب، واليابانيون والكوريون أصدقاء أيضاً. ولايتحاملون على الإسلام والمسلمين. ومن السهل التحاور معهم والتضامن معهم. وهم يقفون محايدين سياسياً عن مشكلة الأوروبيين في عدائهم للمسلمين فلا يدعمون إسرائيل ولا يتحالفون مع الصهاينة الغربيين. من خلال هذا التحليل نكتشف بأن الصهيونية كلها جاءت نتاج عقدة الأندلس الغربية. واستمرار الدعم الغربي للصهيونية هو استمرار للعقدة الغربية تلك. فقد صنعت الصهيونية في أوروبا وقام الغرب بتصديرها إلى قلب الوطن العربي وقدس المسلمين لتكون النزيف الدائم والحرب المستمرة بين المسلمين واليهود. وهذا مايبرر أنّ الغرب يسعى على الدوام لاستمرارية الصراع والحرب والاقتتال. فقد كان اليهود مكروهين في أوروبا ومازالوا حتى اليوم مكروهين. وكان الأوروبيون يسعون للتخلص منهم. فقاموا بإرسال اليهود إلى فلسطين. وهؤلاء اليهود الغربيون حملوا

obeikandl.com

معهم عقدة الأندلس الغربية. وقاموا بصهينتها وحاولوا تهويدها. وتشكلت عند أغلب اليهود المقيمين في أرض فلسطين عقدة جديدة ذات أصل غربي. ولهذا يستمر الصراع في المنطقة. كما حمل الأوروبيون المهاجرون إلى أمريكا وأوستراليا وكندا حملوا معهم عقدة الأندلس الغربية وأوروثوها لأبنائهم ولأحفادهم، واستمرت حتى اليوم في تلك الدول، ونلمس آثارها في المواقف السياسية لحكومات تلك الدول. لقد قامت حركة طالبان منذ سنوات بتدمير معابد وتماثيل بوذية مقدسة عند اليابانيين. ورغم أهميتها الدينية لديهم فلم يتحركوا ضد الإسلام والمسلمين، ذلك لأنهم لايمتلكون موروثاً معادياً للمسلمين.

نقصد بكلمة الغربي كلما نذكرها في هذا البحث إضافة لأوروبا الغربية أمريكا وكندا وأوستراليا والصهاينة الذين مازالوا يغتصبون أرض فلسطين.

نكتشف من هذا البحث ضرورة تحرير العقل الغربي من عقدة الأندلس القديمة والتي تبرر له معاداة المسلمين. وعندئذ سيزول الحقد الغربي على المسلمين وستزول السياسات الغربية المعادية للمسلمين، فلا نرى وقتئذ جنوداً غربيين محتلين لبلداننا. وعندما يزول الدعم الغربي للصهيونية سيعود هؤلاء الأوروبيون اليهود إلى بلدانهم وتعود فلسطين عربية إسلامية آمنة.

لتحرير الغربي من العقدة القديمة المزيفة والوهمية لابد من العمل الفردي في مجال الحوار مع الغرب على كافة الأصعدة. فكتابنا هذا يتحمّل جزءاً من مهمة الحوار مع الغرب ويعتبر أول مشروع صادم للغربيين الموهومين والذين رضعوا منذ طفولتهم العداء للمسلمين.

جذور معاداة الإسلام في الغرب

لمّا كانت عقدة الأندلس التي نقترحها تتمثّل عند المسلمين بالسعي لغزو أوروبا فكرياً ودينياً مرة أخرى، ولما كانت عند الغربيين تتمثل بخشيتهم الدائمة والتي استمرت قروناً من الزمن، الخشية من عودة المسلمين ومن عودة الإسلام، فإن

الموقفين المتمثّلين في العقدة نفسها يمثّلان تفوقاً معنوياً عند المسلمين، يقارنه ضعف معنوي عند الغربيين يتمثّل بالخشية والخوف من الإسلام والمسلمين. فالمسلمون كانوا هناك ويحلمون بالعودة فاتحين. وفي الموروث الثقافي الغربي عداء كبير للمسلمين وللإسلام ويمكن تتبع عناصره التي استطعنا تتبعها واستقصائها كالتالي:

- تطغى على الموروث الثقافي الأوروبي سمة العقلية الغامضة والأبلسة، فبرغم تطور الغرب مازالت تسود على ثقافته الخرافات والأسحار والأفكار الشيطانية، وتلك تجعلهم مؤهلين للتوهم بأن الإسلام خرافة وبأن المسلمين قتلة ومرعبون. وما تلك الأوهام إلا تخلف حضاري وثقافي. ومرض نفسي حقيقي. وتلك هي العقدة.

- المجتمع الغربي مبتلى بداء الإهانة والحسد والغيرة ويمارس تلك العيوب تجاه المسلمين جميعاً. فمن الناحية الدينية يجد الغربي نفسه حاسداً للمسلم الواثق بدينه والمتكّل على الله والواثق بلقاء ربه. والممارس للعبادة والطاعة. وفي المجتمع الغربي عموماً ينجح المسلمون في أعمالهم وتجاراتهم ودراساتهم ويحصّلون أعلى المرتبات. ثمّ إنّ نسبة الجامعيين بين المسلمين أكثر منها في الوسط الاجتماعي العام. والمواطن الغربي الذي تمّ تأنيثه طوال عقود يشعر بالغيرة من العربي أو المسلم القادم من الخارج والقوي البنية والذي يمتلك قدرات تفوق قدرات الغربي بما في ذلك قدراته الجنسية. وكثيرة هي التصريحات التي نسمعها كل يوم والتي تعبر عن غيرة الغربيين من المسلمين ومن قدراتهم الكثيرة التي تفوق قدرات الغربيين، فقد تحدث نيكولا ساركوزي عن استفادة الجالية الإسلامية من الضرائب والجمعيات وتعويضات الأولاد.

- القلق الغربي القديم الذي مازال حاضراً من العرب والأتراك، فالعرب كانوا هناك، والأتراك العثمانيون كانوا هناك. ويعبر الغرب عن خشيته من عودتهم فقد صرح ساركوزي رئيس فرنسا مرات عديدة بأنه لن يسمح بأن تدخل تركيا في الاتحاد الأوروبي.

- تسود في المجتمع الغربي العقلية الصليبية القديمة المعادية للإسلام، والصدمة الصليبية من الإسلام، تلك التي أحدثت العقدة للغربيين.
- طوال القرون الماضية استمرّ الغرب في الإستعارة من الثقافة والفكر الإسلاميين، ومن تجارب وخبرات وأعمال المسلمين الناجحة التي تعتمد أساساً على إسلامهم، دون الإفصاح عن مصدر تلك الإستعارات ودون الاعتراف بصوابية الإسلام وفضله، وبالمقابل استمر المسلمون حتى يومنا هذا بالاعتقاد بعظمة الغرب وبالنهل من كل نتاجه الفكري والثقافي.

هذه العناصر هي التي تكوّن العقلية الأوروبية ولا يعني ذلك أن عداء الغرب للإسلام يجري في الدم الغربي كله. ولكن هذه العناصر متوارثة وهي التي تكوّن الذاكرة الجمعية للأمة. وإن هذه العناصر نفسها يمكن أن تستثمر في تعريف الأوروبي على عيوبه ومن ثمّ تعريفه بالحقيقة الإسلامية وبالتالي المصالحة معه بعيداً عن الأمراض الثقافية الموروثة.

نتاجات غربية تكشف عن الخوف من الإسلام

كثيرة هي النتاجات الغربية التي تعبر عن اتساع عقدته وخوفه من الإسلام. وقد اعتاد المراقبون المسلمون على الاحتجاج الفوري على تلك النتاجات وجعلها دليلاً آخر على استمرار العدائية بين المسلمين والغرب. ومن الممكن أن نقوم بتحليل تلك النتاجات وأسباب ظهورها واستمرارها. فتلك تعبير صريح عن حالة مرضية حقيقية عند الغرب وفي ثقافته وموروثه. وتتنوع هذه النتاجات المعادية للإسلام فنجدها في السينما والمسرح إذ قام أحدهم بقطع رؤوس ثلاثة أنبياء وعرضها على المسرح في مسرحية عرضت عام ٢٠٠٧ . وفي الرسوم الكاريكاتورية تجرأ الدانيماركي على رسم أشكال للشخصية العربية وادعى بأنه يقصد الرسول الكريم محمد. وفي مجالات الرسم والتصوير لايكفّ الغرب يوماً منذ عقود عن إظهار صورة الحجاب الإسلامي على أنها الشخصية المرعبة والمخيفة أو الأسيرة والسجينة، وتطالعنا هذه

الصور يومياً في وسائل الإعلام الغربي. تلك النتاجات وغيرها تزيد من تحامل الفرد الغربي على المسلمين. ولاتدل إلا على العقد المرضية في نفوس بعض الأوروبيين.

البروفيسور بورغات يعترف بالتمييز ضدّ المسلمين في فرنسا

يتحدث البروفيسور فرانسوا بورغات حول معاملة الحكومة الفرنسية للمسلمين المقيمين في فرنسا سواءً من ذوي الأصل المغاربي أو الفرنسيين الأصليين، فأبدى فرانسوا رأياً صريحاً بأن المسلمين يعانون من أنواع كثيرة من التفرقة ضدهم. وأضاف: لو لم يكن اسمي فرانسوا لاعتقلتني السلطات الفرنسية منذ زمن بعيد فهم لا يعجبهم أن ينتقدهم أحد بمثل انتقاداتي.

وإن معاداة الإسلام والمسلمين هي همّ وسائل الإعلام الفرنسية فصحيفة (Liberasion) الفرنسية نشرت خبراً عن قيام مسلم جزائري بقتل زوجته لأنه شك في سلوكها وأنه استند إلى القرآن الكريم في ذلك. يقول أحد الباحثين المسلمين بأنه اتصل بالصحيفة وطلب التحدث إلى المحرر المسؤول، وسأله هل يمكن أن تخبرني عن النص القرآني الذي استند إليه القاتل في قتل زوجته فها هو المصحف بين يدي ، ثم أضاف ولكني أجد أن القرآن لم يسمح له بقتلها وإنما طلب منه أن يأتي بأربعة شهداء وأن يرفع أمرها إلى القضاء الإسلامي. وهنا بدأ المحرر بتوجيه سيل من الشتائم للمتصل. وأضاف المتحدث أن يكون اسمك "محمد" أو "محمود" فمن المستحيل أن يتقبلك المجتمع الفرنسي.

خوف الأوروبي من قول الحقيقة الإسلامية

فيما مضى كان الكثير من الكتّاب والفلاسفة الغربيون يخشون البوح في امتداح الإسلام أو فكره أو رجالاته أو فضله على تطور البشرية. وبنفس الوقت كانوا ينهلون بوضوح من الإسلام ونتاجاته الكثيرة ويدرجونها في أعمالهم دون البوح عن مصدرها الإسلامي. وكان المتلقي الغربي يدرك أحياناً بأن هذه الحكمة التي

obeikandi.com

يتلقاها إسلامية وقد توجّب عليه هو أيضاً السكوت عن هذا الفهم للمصدر الإسلامي. وفي هذا الخضمّ كانت الحقيقة الإسلامية المذاعة تأخذ تدرج في الغرب على أنها شرح ديني جديد لجانب من تعاليم المسيحية أو يظنّها البعض إبداعاً فلسفياً أو اجتماعياً أو سياسياً أو مسيحياً. وكان ناقل هذه الحقيقة الإسلامية وهو الذي يقدمها للجمهور الغربي يدّعي أحياناً بأنه هو المبدع لهذه الحكمة الجديدة.

لقد كان الخوف في التعبير عن الحقيقة الإسلامية شائعاً عند الأوروبيين عموماً. وكان متفقاً عليه تقريباً. وكان ظاهرة تعبّر عن زيف شائع وقد جرى الإتفاق على شيوعه في الغرب. لقد كان هناك شبه إجماع غربي يعتبر أن النهل من الفكر الإسلامي مباح واكتسابه ونقله مباح وبنفس الوقت ارتبط هذا كله بالإتفاق على عدم ذكر المصدر صراحة. وعندئذ كانت السلطة الحاكمة والكنيسة القوية توافق على ذيوع هذا الفكر والنتاج. فقد كانت العبارة الأولى في كتاب جان جاك روسو العقد الاجتماعي منقولة عن الفكر الإسلامي وعن مقولة عمر بن الخطاب الشهيرة.

يقول روسو: خلق الإنسان حراً فلماذا نستعبده.

ويقول عمر: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟.

وقامت الثورة الفرنسية معتمدة في شعاراتها الرئيسية الأولى على عبارة روسو الشهيرة هذه. وأصبحت فيما بعد أهم قوانين العدالة الاجتماعية في الغرب ومن ثم تم نقلها إلى العالم كله. وقد كان هذا المبدأ في أصله إسلامياً قرآنياً.

لم يكن بمقدور روسو في حينه أن يعلن عن المصدر الإسلامي للفكر الذي يطرحه. كان الغرب في تلك العصور خارجاً لتوّه من استبداد محاكم التفتيش الشهيرة التي استطاعت أن تدب الرعب في قلوب الأوروبيين جميعاً.

كان نتاج المسرحي الشهير وليم شيكسبير يحوي الكثير الكثير من الحكمة الإسلامية والفكر القرآني. والحقيقة فإن ميزان حكم شكسبير على أبطال مسرحياته جميعاً كان إسلامياً خالصاً. فلم يكن ميزان العدالة عنده مسيحياً ولا

يهودياً ولا فلسفياً. بل كان قرآنياً صرفاً. وكاد شيكسبير ينقل آيات قرآنية كاملة لكنه التزم عدم البوح بإعجابه بالإسلام.!!..

في مسرحيته تاجر البندقية انتقد الربا والجشع والابتزاز وخزن المواد والذهب عند اليهودي شايلوك من مبدأ إسلامي صرف. وفي مسرحية عطيل كان بطله مغربياً مسلماً. وكان المسلمون أقلة نادرين في أوروبا وكانوا يعانون من عنصرية وكراهية كبيرة آنذاك. فأعلن شيكسبير في مسرحيته بأن عطيل ارتكب جريمة قتل زوجته بعد أن اتهمها بالخيانة بسبب جهله بدينه وبسبب جهله بالحقيقة وبسبب انخداعه بمؤامرة. وفوق ذلك كله بسبب عادات اجتماعية متوارثة عنده وهي عادة قتل الزانية. ولم ينتقد شيكسبير الإسلام في تلك المسرحية بل أوضح بأن عطيل جاهل ومتهور ومخدوع. وإضافة إلى ذلك فقد أرسل شيكسبير رسالة للغرب مفادها بأن هؤلاء المسلمين المغاربة بواسل وأمناء ويحبون المجتمعات التي يعيشون فيها. ويعملون على خدمة السلطة والجيش المسيحي الغربي بوفاء كبير. وفي مسرحيته كليوباترا محاولة للتقريب بين الشرق والغرب.

أما فولتير بنتاجاته كلها وبتاريخ حياته الغريب فقد تبين لنا بوضوح أنه كان مسلماً تمام الإسلام. فمن المؤكد أن فولتير قد توصل في المرحلة الأخيرة من بحثه إلى اعتناق الإسلام. وربما لم يعلن عن إسلامه صراحة بسبب ذلك الخوف الشائع الذي كان حاضراً ومستمراً في أوروبا آنذاك. ففي روايته: كانديد التفاؤل. أكثر شخصياته كانت إسلامية والحكمة وميزان العدالة عنده كان إسلامياً. ودعوته للحوار بين الشعوب ولإيقاف الحروب والكراهية والغزوات ذلك أيضاً من الإسلام.

وكان آخر عمل لفولتير هو مسرحيته التي تحمل اسم (محمد) عرضت المسرحية لثلاثة أيام ومنعت في اليوم الرابع من العرض وتم توبيخ فولتير لأجلها. وحين حضرها أحد كبار رجال السلطة آنذاك قال : يخدعنا فولتير فنظن بأنه ينتقد الآخر ونكتشف بأنه ينتقدنا وينتقد المسيحية. وفي السنوات الأخيرة من حياته اضطهد فولتير فأقام في مزرعة خاصة به امتلكها وعمل بزراعتها وابتعد عن المدينة وانتقاداتها له. وحين وفاته لم تسمح الكنيسة بدفنه في مقبرة العظماء. ولم تؤدّ عليه

الصلاة الكنسية. ذلك لإدراك الكنيسة أنه كان قد اعتنق الإسلام. ومن الضروري الإشارة أن المصطلح الغربي الذي كان شائعاً في وصف المسلمين هو (الكفار أوالوثنيون) وكان يعرّف الإسلام بمصطلح الوثنية.

هذا الخوف القديم من قول الحقيقة الإسلامية كان من نتاج عصور الظلام الأوروبي. ورغم وجوده لم يمنع الأوروبي من قول الحقيقة الإسلامية تحت اسم مستعار. لكن ذلك أدى فيما مضى إلى استفادة الغرب من الإسلام بدون الإفصاح عنه. وموافقة الغرب على تحقيق هذه الفوائد بشرط عدم الإفصاح عن المصدر. وتلك الظاهرة كانت فيما مضى تشكّل عقبة كبيرة في طريق انتشار الإسلام في أوروبا.

وفي عصرنا هذا تغيرت أوروبا بعض الشيء، وتضاءلت هذه الظاهرة. وأصبح بإمكان الأوروبي قول الحقيقة التي يريد والإعلان عن مصدرها الإسلامي. ومن هنا بدأت تتهدّم حواجز الرعب الأوروبي من السلطة. وهذا سيساهم في انتشار الإسلام بسرعة مذهلة في الغرب كله.

عقدة الأوروبيين من الغزو الإسلامي لأوروبا

تكثر الأصوات الغربية المنتقدة والمستنكرة لما يسمى هناك بالغزو الإسلامي لأوروبا. والصورة هناك تفصح عن غزو ديني وفكري واجتماعي وثقافي لأوروبا وللغرب عموماً. وتحتجّ الصحافة والإعلام ويحتجّ الباحثون على ما يسمونه غزواً كثيفاً وتحدياً لأوروبا. كما تحتج المؤسسات الكنسية والدينية المسيحية والمؤسسات السياسية ممثّلة بالوزراء وغيرهم على هذه الظاهرة ويعربون عن قلقهم الشديد حيالها. ويقترح آخرون ضرورة وضع حدّ حاسم لهذا الغزو الإسلامي لبلدانهم. من ذلك التصريحات العنصرية لبعض الوزراء الغربيين. والانتقادات التي يوجهها الساسة وغيرهم للجالية المسلمة في دول الغرب. والحقيقة فإن النشاط الإسلامي الكثيف في دول الغرب والإقبال الكبير على الأسلمة واعتناق الدين أمور تقلق الغرب وتضعهم - رغم اعتقادهم بأنهم سليمون نفسياً – تضعهم في عقدة جديدة ظهرت لتوضح معالم عقدتهم القديمة عقدة الأندلس.

openkandil.com

العقلية الأوروبية والإسلام

تتنوع المعتقدات في المجتمعات الأوروبية وقد أصبحت تعددية بالفعل كما كان نادى الملك البروسي فردريك الثاني في القرن الثامن عشر بأنه يجب أن يسمح لكل إنسان أن يسعى إلى الخلاص بطريقته الخاصة وقد حدث هذا بالفعل في أوروبا. إذ يمكنك أن تتبع الماركسية الجديدة أو أن لا تتبع أي دين أو تكون ملحداً ولا أحد يهتم بذلك ولكن عليك أن تحذر شيئاً واحداً : أن لا تكون مسلماً. وفي الحقيقة إن التعددية الحديثة وتسامحها المطلق يختفيان بحدة في وجه الإسلام. فالإسلام هو الدين والثقافة الوحيدة المحظورة في الغرب. ولّما كان الغرب يمتلك محظورات غير مقنعة، وبنفس الوقت يفرضها على أبنائه فهو حالة مرضية.

فإن أردت أن تبني مسجداً فلا بد أن تتدخل البلدية بحساب كل متر من ارتفاع المنارة ويزعمون إجحافاً منهم بأن المنارة الإسلامية لاتناسب البيئة الأوروبية. ولو كنت مسلماً فعليك أن تحصل على تصريح للحصول على لحم حلال ويرفض طلبك في النهاية، بينما يستثنى اليهودي من الذبح بحجة أنه من الشعائر الدينية.

وفي الإعلام الغربي لم يطلق قط على هتلر بأنه "كاثوليكي" أو ستالين "النصراني الأرثوذوكسي"، ولم يطلق على فرانكو "الكاثوليكي الفاشي". ولكن إن ظهر مسلح عربي فسوف يطلق عليه " مسلم متطرف" حتى لو كان ملحداً أو شيوعياً أو نصرانياً فلسطينياً".

عقدة الخوف الأمريكي من العرب والمسلمين

رغم أحداث ١١ سبتمبر وأن منفذيها كانوا من العرب والمسلمين، لكنهم لم يستطيعوا تجنيد أي من الأميركيين الموجودين داخل الولايات المتحدة الأميركية، إذاً لماذا هذا الخوف من العرب الموجودين هناك؟ ولماذا دائماً الحديث بأنه ليس هناك نمط معين للإرهاب؟

خلص تقرير لشرطة مدينة نيويورك إلى نتائج مفادها أن الخطر الإرهابي الذي تواجهه الولايات المتحدة هو غير مرئي، ويكمن فيما يسمى بالإرهاب الداخلي، أي يعتبر كل الأشخاص مواطنين عاديين يقلقون الأمن. ما يركز عليه هذا التقرير هو المراحل التطورية التي تؤدي إلى التطرف، أي قبل أن يصل الشخص إلى مرحلة الإرهابي. ويتطرق التقرير إلى عدم جدوى تقديم صورة نمطية عن هؤلاء للتنبؤ بمن سيلتحق بصفوف الجماعات المتطرفة، وبالتالي فهو يضع الجميع في دائرة الاشتباه. هذا التصنيف يجعل الجالية العربية المسلمة في الولايات المتحدة هدفاً أولاً ودائماً وفي ذلك اضطهاد وعنصرية للمسلمين الأمريكيين.

يجب تفهّم عقدة الخوف الأميركية بعد هجوم ١١ سبتمبر يقارب الهجوم في الحرب العالمية الثانية الهجوم الياباني وخسائره فيجب تفهم العقدة، لكن لا نقبل تحول العقدة إلى عقدة ضد المسلمين أنفسهم بشكل عام .القضية أن دولة ثقافتها قليلة جداً خارج إطار الأميركي نفسه، والشخص العادي الأميركي لا يفهم أن هناك مسلماً غير إرهابي أو مسلماً لا علاقة له بالقضايا، يجب تفهم هذا الشيء، هذا الخوف الأمريكي من الإسلام ليس وليد أحداث أيلول. وإنما هو موروث الماضي القديم الذي انتقل من أوروبا إلى القارة الجديدة.

عقدة الغزو الثقافي الغربي عند العرب والمسلمين

يقف المسلمون باستمرار في جانب الحذر الشديد من الغزو الثقافي الغربي خشية تشويه ثقافتهم وفكرهم الإسلامي. وهذه الخشية قد تشمل بالخطأ أحياناً عناصر ثقافية من الممكن قبولها إسلامياً. فقد حرّمت العربية السعودية في الخمسينيات من القرن الماضي تدريس علوم الجغرافيا والفلسفة. وليس هذا الخوف والحذر بقديم. إنما هو جديد وغريب على المجتمعات العربية والإسلامية.

وتتعاظم هذه العقدة عند المسلمين العرب لدرجة أنهم يقومون بتفحّص كل مايأتي من الغرب من جديد في مقياس متعصب ودقيق ومتعسّف، حتى لو كان هذا الجديد (دمية) وفي هذا السياق انتقد الكثيرون شخصية باربي وتحدث الكثيرون

عن أضرار ثقافة باربي، مما سهّل على المستثمرين أسلمة باربي وذلك بتقليد هذه الشخصية في شخصية (فلة المسلمة المتحجبة). وفي إيران الإسلامية تم ابتداع شخصية أخرى بديلة عن باربي أيضاً.

تشير النصوص العربية الثقافية والفكرية والفلسفية والدينية القديمة إلى وجود علاقة فعليّة قويّة وحقيقيّة، ربطت الذات العربية فيما مضى بالذوات الحضاريّة الأخرى، حيث كانت عمليَّة النَّهل من جميع الثقافات المبثوثة فى العالم أمرًا محببًّا وجزءًا لا يتجزأ من تكوين الذات المجتمعية، حيث كان الاعتقاد العربي والإسلامي يرى أي علم مبثوث فى الكون هو ملك الجميع، ولا ينحصر فى أحدٍ دون سواه. وقد شكلّت حركة الترجمة والتأليف دورًا بارزًا فى نمو الحضارة العربية آنذاك، ولم تخش آنذاك الذات العربية من الغزو الفكرى أو الثقافي، لقد ترجم المسلمون كلّ مااطلعت عليه عيونهم ومااستطاعوا ترجمته بدون حذر أو منع أو حذف لأية نصوص أو أفكار. وينطبق على تلك الأزمنة الإسلامية مصطلح حرية التفكير والإعلام. وحدث آنذاك أن تأثّرت العديد من المذاهب الإسلامية بالفكر الفلسفي اليوناني، لكنّ هذا التأثر وأمثاله لن يحصل في هذا القرن، بعدما طويت صفحات الفكر اليوناني كلها وأصبحت من التراث العالمي البائد.

لم يكن المترجم العربى وقتها يخشى على هويَّته من الضياع، بل كان يعتبر أنّ كل علم منتشر فى الإنسانية هو جزء من كينونته.

وقد لعبت اللغة دورًا محوريًّا فى هذا التواصل الحضارى والتفاعل الثقافي، انعكس فى طريقة الترجمة نفسها، مما ميَّز المترجمين العرب بقدرة عالية على هضم النصوص المترجمة، وتطويعها، واعادة انتاجها، بمفردات الثقافة العربية، حيث كان يبدو وكأن النص المترجم هو عربى الأصل والمنشأ والغاية والهدف، فقد كان المترجم يؤقلم النص ويضمّه إلى اللغة ويقضى على عناصر الغرابة فيه، الأمر الذى يوصف بابتلاع النص اسلوبًا ومضمونًا، بحيث يتم إدخال النصوص المترجمة فى دائرة الأنا "العربية" شعورًا بأنّ هذا النص هو ملكها ذائباً فيها، ومن ذلك أن كل مفكر عربي كان يشتغل بالفلسفة يذهب لابتداع تعريف جديد لها يتوافق مع فهمه

لها ومع توافقها مع الفكر الإسلامي. فذهب ابن رشد لتعريف الفلسفة وكان للفارابي تعريف آخر ولابن سينا تعريف خاص به.

ينقلب المشهد الثقافي اليوم ويتحول من تفاعل مع الحضارة إلى انفعال ومن "تواصل" إلى "انوصال"، فالذات العربية اليوم تعانى انجراحًا عميقًا لم يجد ترياقه بعد.

على صعيد اللغة، نحن اليوم لا نشعر أننا نرقى بالنص عندما ننقله إلى العربية، ولا نشعر بذوبان النص المترجم فى ذواتنا، ويبقى بعيدًا غريباً نافرًا عنّا، وإننا نريد المحافظة على تغريبه وإبعاده.ولانسمح اليوم للنص الغربي بالدخول إلى ثقافتنا. وحتى النص العلمي نجد فينا من يستبعده وينفيه.

بل وأبعد من ذلك، فنحن اليوم نرقى بالنص العربى عندما نترجمه إلى غير العربية! وهناك العديد من الكتّاب والمفكرين العرب ممن يعمد إلى الكتابة بغير العربية، لأن المرور عبر لغة الآخر هو الطريق المضمون للوصول إلى القارئ، بمن فيه العربي! وهذا يعود بالطبع إلى انبهارنا بالغرب نفسه الذي نستبعد ثقافته. ولعلّ أغلب هؤلاء الكتّاب الذين يعبرون من الغرب هم من المغرب العربي. لذلك تكثر المفردات الأجنبية المنقولة بحرفيتها فى نصوص المثقفين العرب، فالمثقف العربي لا يعترف بذاته إلا إذا اعترف بها الغير، ولا يقدّر أناه إلا بالقدر الذى يعترف الآخر بها، وهو يمارس كلّ ذلك فى الوقت نفسه الذى يعمد فيه إلى إقصاء الآخر وإبعاده والتعامل معه على أساس أنه "غازٍ وشرير ومتآمر".

انه لا بدّ من قلب علاقات القوّة التى تربط الحضارات بعضها البعض، وذلك من خلال تملك فعلي لثقافة الآخرين ومفرداتهم؛ "تملك" مبنى على إعادة إنتاج الأسئلة والأطروحات، والتحرر من الصور النمطية، والتحرر من شبح "الغزو الثقافي" ذلك أن المتاح اليوم لأية ثقافة ليس خصوصية مميزة ومتميزة، وإنما كيفيات وآليات خاصة، وطرق نوعية للمساهمة فى الثقافة الكونية والانخراط فى المعاصرة، وإقامة ثقافة حوارية فاعلة تستثمر الأصول، وتعيد إنتاجها وتتجاوزها في مرحلة متطورة، فتنعش

الفكر الإنسانى وتشق له معابر وجودية، فاتحةً له دروبا "صاعدة"، ومحدثة توازنًا حضاريًّا منشودًا.

لقد باتت مهمة مشاركتنا في التطور الثقافي الكوني ضرورة ملحّة لنا وللبشرية كلها. فالغرب يبث باستمرار كل نتاجه ويوصله للعالم كله. والغربي نفسه سئم من تكرار النمط الثقافي الغربي ومن زيفه وهو يطالبنا بإلحاح بأن نطلعه على تفاصيل نتاجنا الثقافي. ولأن المسلمين كأمّة إسلامية لم يقوموا بتنظيم أعمالهم ونتاجاتهم الفكرية ولأنهم عاجزون اليوم عن ذلك، فقد قام الأفراد الأقلة ببثّ أفكار على أنها ثقافة إسلامية. ويقوم باستمرار نشطاء وهواة الحوار الألكتروني بمحاولات للتعريف بالإسلام وفكره.

وإن الدين الإسلامي يتميّز بقدرته على الاستمرارية والحصانة من أية أفكار دخيلة، ولذلك فلاحاجة للمسلم بالحذر مما يطلق عليه مصطلح الغزو الثقافي. فقد ثبت أن الحوار الإسلامي مع الحضارات والفلسفات الأخرى يفيد تلك المدارس ويساهم بنشر الإسلام داخلها. ومن هنا فعلينا أن نرقى بتقبّل الثقافات الجديدة ونتحرر من عقدة الغزو الثقافي.

وقد ثبت بأن الغزو الثقافي المضاد لهويتنا ولإسلامنا إنما يدخل فينا رغم تمسّكنا بالحذر الشديد. فقد غزتنا حديثاً ثقافة الإبادة والتي هي من أصل صهيوني، ونحن نراها هذه الأيام منتشرة تتمثّل في أحداث العراق وفي الاقتتال الطائفي. كما غزتنا ثقافة الطائفية، وثقافة الأسطورة والخرافة، وكلها من أصل صهيوني وأوربي أيضاً. والحقيقة فإننا بفتح أذهاننا على الثقافات العالمية المعاصرة نصبح أكثر قدرة على تمييز الثقافة المضادة لنا، ونصبح أكثر قدرة على رفضها.

يجب أن نثق بقدرة إسلامنا على استيعاب الثقافات الغازية وتمريرها وفلترتها بسهولة، وبقدرته على التحصن من أي تشويه أو تغيير بسبب أية ثقافات غازية، فالإسلام أكبر وأعمق من كافة الثقافات البشرية التي ظهرت والتي من الممكن أن تظهر في المستقبل. ومن هذا المنطلق نستطيع أن نقضي على عقدة الخوف من أي غزو ثقافي.

معوقات فهم الإسلام في أوروبا

يهتم الإعلام الأوروبي باستمرار بالإسلام وبالظاهرة الإسلامية كلها، ويفرد لها مساحات واسعة من البحث والتحقيق. ورغم ذلك فمازال الإسلام غير مفهوم تماماً بالنسبة للأوروبيين عموماً، الإعلاميين منهم والمواطنين، وكذلك بالنسبة للمسلمين أنفسهم. ورغم أن عمر المواطنة الإسلامية في أوروبا يقارب القرن من الزمن. فإن المسلمين مازالوا يعانون من العديد من المشاكل مع الحكومات والإدارات في بلدانهم تلك. ويعود ذلك لأسباب عديدة نجدها عند الطرفين. فالغربيون يتعرفون على الإسلام من خلال قنوات كثيرة:

الإعلام والمطبوعات بأنواعها، وقسم كبير منها يعادي الإسلام، والقسم الذي لايتعمد معاداة الإسلام ويدّعي بأنه يعرّف بالإسلام والمسلمين نجده يجهل الإسلام وتفاصيله ويعطي صوراً خاطئة عنه. وهذا السبيل الغربي لم يصبح كفؤاً بأن يعطي لمواطنيه الصورة الحقيقية عن الإسلام.

المنهل الثاني الذي يعطي للغربيين صورة عن الإسلام هو المسلمون الغربيون أنفسهم، وهؤلاء كما سنكتشف من خلال هذا البحث لهم مشاكلهم الكثيرة، ومنها المشاكل الفكرية، وهم لم يرقوا حتى اليوم ليصبحوا صورة صحيحة عن الإسلام. فغالبيتهم يتمسكون بالموروث الثقافي والفكري والاجتماعي ويربطونه بالإسلام ويصدرونه للغرب على أنه إسلام. وعندئذ تصل للغربي صورة مشوهة عن الإسلام.

فخور بأنني مسلم بريطاني

انطلقت في مدينة لندن حملة إعلانات تهدف إلى التعريف بالإسلام ولإظهار المسلمين كعنصر مندمج وفعال في المجتمع. تعتمد الحملة على الملصقات والإعلانات الجدارية التي تظهر صور شخصيات مسلمة بريطانية وتحمل شعار "فخور بأنني مسلم بريطاني". تنظم الحملة جماعة "الإسلام سلام" او Islam is Peace التي

تقول إنها تهدف إلى تغيير النظرة السلبية التي يحملها البعض تجاه الإسلام ولتعريف الآخرين بأن المسلم مطالب بالتعايش السلمي في المجتمعات غير المسلمة. وتنشط الجماعة أيضاً في تعريف البريطانيين على الإسلام بواسطة موقعها الألكتروني باللغة الانكليزية. www_islamispeace_org_uk.htm

وهذه طريقة مثالية في تصحيح العقل الغربي بما يخص رأيه بالإسلام والمسلمين، وفي تصحيح الصورة السلبية عن الإسلام التي تشكّلت عند الغرب منذ قرون والتي بموجبها يتم اعتبار المسلمين ملحدين وكارهين وقتلة مجرمين. وستقوم مثل هذه الحملات بأدوار كثيرة نستشعر بعض معانيها:

١ – هي حملة تعريف بالمسلمين وبرفع التهم عنهم وبإصلاح الصورة السلبية عنهم.

٢ – من حيث لايدري البريطانيون فهي حملة أسلمة لهم. ومن المؤكد أنها ستؤدي إلى اعتناق البعض على الأقل للإسلام، وهذه الحملة من خلال نتائجها تعني أن أصحاب القرار الأوروبيين واقعون في أزمة القرار، فهم من ناحيتهم يدأبون ليل نهار لمنع أسلمة أوروبا وللوقوف مقابل هذه الموجة الإسلامية المتصاعدة. فالحكومات والسلطات والكنائس والأحزاب والبلديات كلها تنشط في الوقوف بوجه موجة الأسلمة. وبنفس الوقت فكل تلك الكيانات مضطرة للموافقة على مشروع كهذا يهدف وفق برنامجه إلى التعريف بالمسلمين البريطانيين ودعوة الجميع للتحاور والتعايش. إنهم من حيث لايدرون يعززون الإسلام في بلدانهم وهم أيضاً مضطرون لتعزيزه، وعلى هذا فلن يكون المستقبل الأوروبي إلا لصالح المسلمين.

٣ – هذه الحملة تدل على وجود مشكلة كبيرة في بريطانيا، وهي معاناة المسلمين هناك من التمييز والفوبيا، وتدل على أن السلطات المتعددة في بريطانيا على الأقل تشعر بعمق الأزمة وباستفحالها وببلوغها درجة الذروة. ولذلك تمت الموافقة على حملة إعلامية كبيرة.

احتجاج كنسي على انتشار الإسلام

في وسط ألمانيا وفي باحة الكنيسة الإنجيلية في ساكسونيا عبّر رجل الدين المسيحي رولاند ويسيلبيرج عن احتجاجه على تضاؤل نسبة المسيحية وتحوّل الشبان إلى الإسلام بانتحاره . حيث صبّ على جسده الكاز وأشعل النار بنفسه. وترك وصية واضحة يقول فيها إنه قلق من الانتشار السريع والمتزايد للمسلمين في ألمانيا ، وأنه كممثّل للكنيسة عجز عن منع تلك الظاهرة أو تخفيفها.

وفي احتجاج آخر عبّرت الكنيسة البابوية غير مرة عن قلقها من انتشار الإسلام في أوروبا. وحذّرت بشدة بأنها لن تسمح بأن تتحول أوروبا إلى الإسلام.

خوف آخر من المسلمين وليس من الإسلام

إنّ قسماً من الأوروبيين يعبّرون عن خشيتهم من قوة المسلمين أو قدرتهم على التسلّط على أوروبا. وهؤلاء يعلنون أنهم لايخشون من الإسلام نفسه بل من المسلمين ومن تصرّفاتهم المحتملة ، وهم يسترجعون ذكريات وأحداثاً ثابتة سمعوا عنها في تاريخهم القديم تتحدث عن معارك طاحنة قتل فيها آلاف من الأوروبيين. وهم يستشهدون على مخاوفهم بجرائم حديثة ارتكبها المتطرفون كتفجير قطارات مدريد. وهؤلاء يعلنون عن إعجابهم وتفهمهم لكثير من المفاهيم الإسلامية. إنهم لايخشون من الإسلام نفسه وإنما يخافون من جرائم كبيرة ووحشية يتنبؤون بأن المسلمين قد يقومون بها.

وأمام هذا الواقع يتوجّب على المسلمين المبادرة بطمأنة المواطن الغربي، وبتعريفه بسماحة الإسلام مع مواطنيه جميعاً. ويتم ذلك التعريف بتصرفات الأفراد كأداء شخصي وفردي وبأعمال الجمعيات والمؤسسات الإسلامية المتعددة. وفي هذه المناسبة ندعو المتطرفين الإسلاميين لأن يكونوا عامل طمأنينة وسلام وحوار مع الغرب، وأن يتوقفوا عن تهديد الغرب وعن ارتكاب أعمال إرهابية ترعب مواطنيه. وفي حالات قليلة يتطرق بعض الغربيين إلى الإسلام نفسه ويتهم هؤلاء الإسلام بأنه بجهاديته

يتحمّل عبء مايفعله المتطرفون. ومن الطبيعي أن نحكم على الذين يخشون من المسلمين بأنهم يحملون خشية من الإسلام نفسه، وذلك بسبب عدم فهمهم للدين الحنيف.

مصطلح الفوبيا وعقدة الخوف

ابتدع تعبير الفوبيا من الإسلام وأطلق استخدامه في ١٩٩٦ على يد "لجنة المسلمين البريطانيين. والفوبيا من الإسلام." تعني الكلمة أو التعبير "الخوف الذي لا مبرر له من الإسلام" ولكنه يستخدم ليعني "التعصب والتحيز ضد المسلمين" وهو ينضم لمجموعة تزيد عن أكثر من ٥٠٠ نوع من الفوبيا أو المخاوف المرضية التي تغطي كل جوانب الحياة تقريبا.

لقد نال المصطلح درجة من القبول اللغوي والسياسي إلى حد قيام السكرتير العام للأمم المتحدة برئاسة مؤتمر بعنوان "مواجهة الفوبيا من الإسلام" في ديسمبر ٢٠٠٤ فضلاً عن إدانة قمة المجلس الأوروبي للفوبيا من الإسلام. ويعتقد بعض المحللين المسلمين وغير المسلمين في الغرب بأن مصدر الفوبيا والمعاداة والكراهية إنما نشأ من قبل المسلمين الغربيين وأن أبناء الغرب وكردّة فعل منهم أخذوا يمارسون معاداة الإسلام والمسلمين، وهي الظاهرة التي أطلق عليها مصطلح الفوبيا الإسلامية.

فقد تحدثت الصاندي تايمز عن قيام جماعة حزب التحرير في عملية تشهير داخل الجامعات البريطانية تحت اسم "أوقفوا الفوبيا من الإسلام".وقالت الصحيفة:

"يسعى حزب التحرير في بريطانيا إلى فرض القانون الإسلامي على العالم ويتبنى هجمات انتحارية ضد الإسرائيليين. وهو بأعماله يواجه التحريم والإبعاد في بريطانيا العظمى".

يطرح هذا المصطلح العديد من المشاكل على الرغم من ذلك. أولاً ما معنى القول إن الخوف من الإسلام "لا مبرر له" بينما يمثل المسلمون الذين يعملون باسم الإسلام المصدر الأول والأساسي للعدوان، سواء اللفظي والبدني، على مستوى العالم

ضد غير المسلمين والمسلمين على حد سواء؟ ما يتساءل عنه المرء هو ما هو القدر من الخوف من الإسلام الذي له مبرر؟

وهناك تحيز وتعصب ضد المسلمين، إلا أن مصطلح "الفوبيا من الإسلام" يخلط ويدمج وبطريقة مخادعة بين ظاهرتين متميزتين: الخوف من الإسلام والخوف من الإسلام الراديكالي المتطرف.

اعتاد المروجون لمصطلح "الفوبيا من الإسلام" على المبالغة والتهويل في حجم المشكلة ويقال إن المسلمين البريطانيين يعانون من التمييز الدائم في دوائر الشرطة.

ومن الناحية الثقافية: يدعي رئيس المدرسة العليا للعلوم الإسلامية والاجتماعية بفيرجينيا طه جابر العلواني أن المسلمين "يواجهون فيضاناً قوياً من الأعمال الأدبية المعادية للإسلام تدعو لكراهية الإسلام، روايات وأفلام وكتب وأبحاث ودراسات. هناك ما يقترب من ألف رواية من هذا النوع من بين فقط الروايات الأكثر مبيعاً." ألف رواية من الروايات الأكثر مبيعاً؟ أمر يصعب تصديقه.

وتتحدث الصاندي تايمز متهمة الإسلامية بتوليد الفوبيا وتكتب:إن تلاعب حزب التحرير بعبارة "أوقفوا الفوبيا من الإسلام" إنما يكشف عن خداع تضليل هذه العبارة. ومن الواضح جداً أن هدف هذه الحملة هو محاربة التحيز والتعصب ضد المسلمين في أعقاب تفجيرات لندن، ولكنها تستشهد *بأنتوني جليز* من جامعة برنيل بلندن في القول بأن جدول الأعمال والأهداف الحقيقي هو نشر اتجاهات معاداة السامية ومعاداة الهندوسية ومعاداة المثلية الجنسية ومعاداة الأنثي، وإثارة الاستياء والغيظ من التأثيرات الثقافية الغربية. وتقول صحيفة الصانداي تايمز في نهاية المقال: على المسلمين أن يتوقفوا عن استخدام هذا المصطلح سيئ السمعة وأن ينصرفوا إلى دراسة استبطانية جادة لأفكارهم ودوافعهم ومشاعرهم. وبدلاً من لوم الضحية المحتملة على خوفها من جلادها، من الأفضل لهم تأمل الطريقة التي حوّل بها الإسلاميون المتطرفون إيمانهم الديني إلى عقيدة تحتفي وتحتفل بالقتل (القاعدة التي تقول: "أنتم تحبون الحياة ونحن نحب الموت") وابتكار وتطوير استراتيجيات من أجل خلاص وإصلاح دينهم عن طريق مقاومة وقتال هذه الشمولية.

متطرف يهودي يصف الإسلام بالفاشية

استخدم الناشط المتطرف ديفيد هورويتز صوراً مزيفة للتنديد بعملية رجم الزانية في الإسلام، في إطار حملته ضد ما يصفه بـ"الفاشية الإسلامية"، في حين أن الصور مأخوذة من فيلم هولندي أُنتج في ١٩٩٤.تمّ وضع الناشط الأمريكي على رأس قائمة أسوأ الأشخاص في العالم؛ لاستخدامه إحدى الصور الترويجية في حملته ضد الإسلام قائلاً إنها تشير إلى عملية دفن فتاة إيرانية تمهيداً لرجمها.

واعتبر أن هورويتز يروج للكراهية والحرب من خلال حملته المعروفة باسم "أسبوع التوعية ضد الفاشية الإسلامية" في الجامعات الأمريكية. وكان الناشط المتطرف ديفيد هورويتز، قد أعلن عن عزمه القيام بحملة للتوعية بالفاشية الإسلامية، تستمر أسبوعاً من ٢٢ تشرين الأول ٢٠٠٧وقال هورويتز، " سوف تهتز الأمة بأكملها لأكبر حملة احتجاج محافظة في الحرم الجامعية، في أسبوع التوعية بالفاشية الإسلامية، وهي دعوة لإيقاظ الأمريكيين في مائتي حرم جامعي وكلية."هذه هي الفوبيا التي يواجه بها المسلمون في الغرب. والتي تجعلهم يقلقون باستمرار وينشغلون ليل نهار في مواجهة سيل هادر من الاتهامات، بينما عربنا يقفون متفرجين وأحياناً لاتصلهم أخبار مايحدث في الغرب.

عقدة جدار الحماية عند المسلمين

العرب والمسلمون المغتربون هم وحدهم من بين الشعوب الأخرى الذين يجدون صعوبات في الامتزاج بالمجتمعات الغربية رغم أنهم اختاروها وفضّلوها عن المجتمعات العربية والإسلامية التي كانوا يعيشون فيها. وهم يمتنعونً حقيقة من الانصهار في المجتمعات الغربية.وبنفس الوقت فهم جميعاً و بكل فئاتهم وبفضل تجربة الغربة يصفون مجتمعاتنا العربية بالتخلف والفقر وينتقدون كلّ مظاهرها.

إنهم عندما يعيشون في الغرب يتعاملون مع مظاهره وحضارته وفق أسلوب رافض للغرب كله، وهناك يحددون هويتهم الأولى ويتمسكون بكل عناصرها. وعندما

obeikandl.com

يزورون بلدانهم الأصلية، فانهم ينتقدون المجتمعات الشرقية، ويصفونها بالتخلف الكبير ويتصنّعون شخصيات متأثّرة بالطابع الغربي. ذلك الغرب الذي يرفضون معاييره ويرفضون الذوبان في مجتمعاته عندما كانوا جزءاً منه. وإن في ذلك تناقضاً كبيراً عند أولئك الأشخاص.

إنّ العرب والمسلمين الذين قاموا بتدمير مركز التجارة العالمي امتلكوا ميزات وترحيباً في الولايات المتحدة كانت تؤهلهم للعيش المشترك والمتساوي مع مئات الملايين من سكانها. وإن تلك الميزات كانت جديرة بأن تجعلهم يتفاهمون مع المجتمع الأميريكي كغيرهم، ويعدلون عن تنفيذ الهجوم الكبير. فقد استخدموا كافة الوسائل الحضارية الغربية وربما دخلوا مبنى التجارة العالمي وانبهروا بعظمة بني البشر الذين استطاعوا تشييده، وانبهروا بقدرة الغرب على تسخير العلم لفائدة البشر. لكن لماذا لم يتكيف أي واحد من هؤلاء مع المجتمع الأمريكي ولم ينصهر ضمنه.؟؟ ذلك لأنه أقام جداراً عازلاً بينه وبين الغرب كله. وإنّ المعلمة التي كانت تدرّس محمد عطا في معهد الطيران تحدثت عن طالبها وأبدت عدم تفهمها لعمله الانتحاري، وبدت شديدة الدهشة من عمله، بل إنها بدت تعجز عن تصديق قيامه بذلك العمل. وقالت:

" كان طيلة فترة الدراسة ذكياً ونشيطاً ومتعاملاً (أي أنه كان متفهماً للمجتمع الأمريكي) لكنه في الزيارة الأخيرة له حمل شهادته ومضى مسرعاً دون وداع" (أي دون مجاملات طبيعية).

وبهذه الكلمات تعبّر تلك المعلّمة عن شيء لم تفهمه في حينه ألا وهو الجدار الذي كان ينصبه محمد عطا ليظل باستمرار حاجزاً بينه وبين المجتمع الأمريكي. بل إن تدميره لمركز التجارة العالمي، والأحداث الأخرى المشابهة لهي خير دليل على وجود هذا الجدار عند كثير من المتطرفين. للتأكيد نقول: إننا نتحدث عن ظاهرة نعتقد بوجودها عند بعض المسلمين وليس كلهم.

عندما جاءت الرسوم الكاريكاتورية من الدانيمارك لم يجرؤ أحد من المسلمين على التحقيق في تلك الرسوم، رغم أنّ ذلك العمل كان سيعطي فوائد عامة في فهم

ذلك الحدث وذلك الاعتداء. هل جاء أحد من المسلمين إلى تلك الرسوم وأجرى عليها دراسة فنية ودراسة نقدية كاريكاتورية خاصة بذلك الفن، وتلك الدراسة كانت ضرورية ولاشك. لكن المسلمين بشكل عام أجمعوا على منع إظهار تلك الرسوم ومنع نشرها واكتفوا باغلاق جميع الأبواب. بل واعتبروا كل اجتهاد أو تحليل جريمة محرّمة. وهنا وضع المسلمون جدار حماية لاضرورة له. لقد تجرأت صحيفة أردنية وأدرجت بعض الرسوم الكاريكاتورية تلك وقامت بالتعليق عليها وبانتقادها، وكان ادراجها كنوع من الإيضاح، ورغم ذلك فقد حكم على الصحيفة وعلى رئيسها. وتمّ تجريمه. ولعلّ هذا الحظر وهذا المنع هو جدار الحماية الذي يعتبر كلّ المسلمين أطفالاً ويخشى على انزلاقهم في الكفر والردة. لكنّ المسلمين ليسوا كذلك على الاطلاق. صحيح أنه تم الاتفاق على منع نشر الرسوم الكاريكاتورية لكن وبنفس الوقت فان نسبة الذين رأوها تزيد عن ٤٠ ٪ من عدد المسلمين في العالم كله، ورغم ذلك لم يتأثروا بها.أي أن لاخوف حقيقي عليهم من رؤيتها، ولاخوف حقيقي من نشرها. لكننا نرفضها من منطلق آخر وهو صدورها من الجانب الغربي كموقف طائفي معاد للإسلام وللمسلمين. وموقف استفزازي وتحدّ سافر لمليار ونصف المليار من المسلمين.

لماذا نقيم جدار الحماية ؟

نحن اليوم أقلّ انفتاحاً على الآخر مما تنصّ عليه الآيات القرآنية الكريمة، ونحن أقل انفتاحاً من مواقف وتعليمات رسولنا الكريم محمد عليه السلام. فالقرآن يتحدث في آيات كثيرة عن المسيحية ويخصص سورة كاملة باسم سورة مريم عليها السلام ويذكر المسيح باسمه خمساً وعشرين مرة. والرسول الكريم حاور المسيحية وأوصانا بها خيراً.

الإسلام وتعاليمه منفتح على الآخرين كل الانفتاح، فالقرآن نفسه يعرّفنا بالآخر الذي هو يهودي ومسيحي ووثني. وتروي لنا الآيات القرآنية الكريمة أخبار وتواريخ تلك الشعوب، وتطلعنا على عقائدها. وهذا انفتاح واسع على الآخر، وهو

obeikandl.com

يفيدنا في عدم الخشية منه وفي حمل الجرأة على مناقشته ومحاورته والتعرف على أموره وعقائده. ويأمرنا القرآن الكريم والرسول بالسفر والسعي والتعلم والعمل في كل بقاع الأرض. يقول الرسول العظيم: ".. اطلبوا العلم ولو في الصين.." وهذا الحديث يحمل ضمناً أمراً بالتعامل الطبيعي مع الآخر دون وضع جدار حماية.وأن يذهب واحد من الجيل الإسلامي الأول إلى الصين ليقيم فيها ويتعلم أحد علومها، فذاك يعني أن يتكيف مع الأفراد الذين يعيش معهم طوال فترة إقامته هناك، بشرط أن يلتزم بعقائد الإسلام وشرائعه فحسب. وإن الفاتحين المسلمين الأوائل الذين دخلوا بلاد الشام وشمال أفريقية وأوروبا وبلاد آسيا، كان همّهم الالتزام بالإسلام ونشره بين الشعوب، وبنفس الوقت فقد كانوا يوافقون على اقتباس كل مايرونه جديداً ومفيداً ولايتعارض مع عقيدتهم. وكانوا أيضاً قابلين للتكيف مع المجتمعات الجديدة التي أقاموا فيها. فالخلافة الأموية التي كان مركزها دمشق، وازدهارها الكبير آنذاك إنما حصل بفضل عوامل عديدة، وكان من بينها: اعتماد الإسلام كمنهج وعقيدة وقوانين حكومية. وثانيهما هو الاستفادة من كافة خبرات وتجارب وحضارات تلك الشعوب التي امتزج بها المسلمون وتكيفوا معها في الشرق والغرب والشمال والجنوب. فبلاد فارس لم تتحول آنذاك إلى نموذج للسلطة الإسلامية التي كانت في مكّة والمدينة. بل بقيت بلاد قارس بكل خصائصها وزاد على تلك الخصائص التزام مواطنيها بشرائع الإسلام. وكذا بلاد الأندلس وشمال أفريقيا وغيرها، فقد ظلت كافة تلك الشعوب ملتزمة بصفاتها الاجتماعية وعاش معهم العرب الفاتحون وفق أنظمة وعادات تلك الشعوب، وبنفس الوقت تحلّت بالإسلام. ولم يكن المسلمون الأوائل يتمنّعون عن التكيف في المجتمعات الجديدة، ولم يضعوا جدار حماية بينهم وبين تلك الشعوب كما يفعل اليوم بعض من مسلمينا.بل وبفضل ذلك الانفتاح الكبير استطاع الفاتحون الأوائل نقل الإسلام إلى تلك البلدان الكثيرة. وإنّ الانفتاح على الآخر بغية فهم مذهبه واعتقاده يتطلب من المسلم أن يفتح ذهنه لفهم الآخر. وهذا يتضمن منح الآخر فرصة التعبير عن مذهبه أو ديانته أو فكره. وهذا يوجب علينا أن نستقبل كل المعلومات التي توجه إلينا استقبالاً طبيعياً، لأن قطع هذا الاستقبال سيؤدي إلى قطع الحوار كله. وعندئذ يقام الجدار بيننا وبين

الآخر، وتحدث القطيعة وسنخسر ثمرات كبيرة كنا سنحققها من الحوار الحقيقي معه.فلربما كان سيضم موقفه إلى موقفنا ولربما كان سيتحول إلى الإسلام عندما يكون الآخر غير مسلم.

فهم الآخر بدون جدار الحماية

إننا لن نتوصل إلى فهم الآخر أبداً إذا أقفل المتحاور ماكينة المعالجة الذهنية لكل ماهو مرتبط بالمذهب الآخر أو الدين الآخر. فلا يمكن أن نكتفي باستقبال المعلومة المرسلة إلينا. بل يتوجب علينا أن نعالجها في أذهاننا معالجة صادقة وحيادية ومعالجة حرة:

مثل ذلك قول أهل السنة بأن الشيعة يصلّون على القرص، وهذا القول يحمل عند السنة ويصدّر معاني وثنية يتم اتهام الشيعة بها، اذ يفهم البعض بأن القرص هو الهدف.!! وهنا ندخل في الخلافات والاتّهامات. لكن يتوجب على السني أن يسعى لفهم الرأي الشيعي بهذا القرص، عسى أن يقلل ذلك من المشكلة والاتهام. وفي محاولة التعرف على المسيحية يجب على المسلم أن يتغاضى بادىء الأمر عن عقيدة الثالوث المسيحي. وأن لايجعلها جداراً منيعاً يعيق تحاوره مع المسيحية. وفي مشروع الحوار الإسلامي المسيحي يتعين على المسلم هدم الجدار المعيق لهذا الحوار والذي يشمل تاريخ الاستعمار الغربي للبلدان الإسلامية. وأعمال جنود الغرب الأخيرة في العراق وأفغانستان، هذا إضافة إلى عقدة الماضي القديم الذي اندحر فيه المسلمون عن أوروبا. فإذا استمر الشخص باعتبار أوروبا عدواً لن يتسنى له الحوار مع أي غربي على الإطلاق. بينما حين ننتزع هذا الرأي من أذهاننا يتيسر علينا المحاورة والتوصل إلى نتائج مفيدة. فنحن نلاحظ أن في الغرب الكثيرين ممن يعتنقون الإسلام. وهذا خير دليل على إمكانية التحاور مع الغرب.

نتائج جدار الحماية

إن خوف المسلم وخشيته من التعرف على فكر الآخر جعله ينصب جداراً يمنع حدوث أي تمازج فكري معه.وبالتالي فقد أصبح هذا الآخر مجهولاً وغير معروف في ذهن هذا الشخص وأصبح من السهولة قبول كل الأطروحات الطائفية التي تتهم الآخر. وعلى هذا فإن كل مسلم وافق على تصديق الفتنة الطائفية بين السنة والشيعة، وقام باتهام المذهب الآخر وتكفيره، إنما فعل ذلك بسبب جهله بذلك المذهب وبعقيدة أتباعه.ومن هنا توجب علينا جميعاً أن نتعرف بديمقراطية فكرية على المذاهب الإسلامية وعقائدها بهدف الاستنارة والتواصل. وبهدف أن يشعر كلّ واحد منا بالانتماء إلى الإسلام الواحد.

اليهودية في الغرب لاتقيم جدار حماية ولذلك استطاعت أن تتوغل في أعماق الحياة الاجتماعية الغربية كلها. وفي أعصاب السياسة والاقتصاد والمال وغيرها.بل تدخّلت في خصائص العقيدة المسيحية.

جدار الحماية يمنع أو يحد من تعرف الآخرين على الإسلام وبالتالي يتعذّر فهم الإسلام وتقبله عندهم. ولو أننا لم نكن نقيم هذا الجدار لكان الإسلام سيحقق انتشاراً واسعاً في البلدان الغربية. فقد استطاعت اليهودية أن تتداخل في الديانة المسيحية وتنشئ مذهباً دينياً عالمياً جديداً، وهو المسيحية الصهيونية التي انتشرت في الولايات المتحدة وأوروبا. حدث هذا رغم أن اليهودية ديانة محرّفة ومشبوهة وضعيفة، ولعلّ أعظم عقائدها هي هيكل سليمان وأرض الميعاد والمحرقة وحرق القرابين. فيما نحن المسلمين نمتلك ديانة موسوعية في كل المجالات المعرفية، ونمتلك جدارة في إيصال الإسلام إلى كافة البشر.

عقدة جدار الخوف عند المسلمين

تكوّن جدار الخوف عند الأفراد من خشيتهم على أن تؤدي الأفكار الأخرى الجديدة (التي قد تدخل أذهانهم)إلى تغيير مذهبهم أو عقيدتهم أو دينهم. وبنفس

الوقت فإن مشايخ وفقهاء المذاهب الإسلامية يعمدون عادة إلى توليد هذه الخاصية في أذهان المسلمين.ويعتبرونها الجدار الواقي والحافظ للعقيدة الدينية عند الفرد وفق الدين والمذهب. وقد ازدادت متانة هذا الجدار حتى أصبحت التربية البيتية والمدرسية تعززه وتقوي أسسه، ونتج عن ذلك أن ابتلي الفرد بطبع يمنعه من قبول أي جديد. وإن الأحداث التاريخية الكبيرة (ومن بينها ظاهرة الاقتتال بين السنة والشيعة في العراق) تعزز هذا الجدار.

تطرف عند المسلمين الأوروبيين

ليس من الإنصاف أن نحكم على المسلمين الأوروبين عموماً بالتطرف، فمنهم المتحضرون المتفهمون للحياة الغربية ولصفاتها المتنوعة. لكنّ الصورة العامة لمسلمي الغرب قاتمة وتشير إلى تفاقم التطرف.

يقول أحد الباحثين المسلمين: "رأيت نساء منقّبات في شوارع لندن أكثر مما أراه في شوارع بيروت أو دمشق." وإذا نظرنا إلى هذه الصورة من باب الحماس الديني فإننا نستبشر بها خيراً، ولكن من الوجهة الإسلامية نفسها يمكن القول بأن النقاب ليس من الإسلام بل هو من الموروث التاريخي والثقافي الذي يسيء إلى الإسلام وصورته، وعلى هذا فنحن لانرجوه لمجتمعاتنا العربية فكيف نوافق على انتشاره في الغرب ؟

وكيف نسمح بأن يقوم مسلمون غربيون بتشويه صورة الإسلام هناك ؟ تتحدث باحثة غربية مسلمة عن ظاهرة ازدياد المنقبات وتقول:

" تحدثت إلى الكثير من أولئك المنقّبات بأنّ النقاب ليس من الإسلام وأن لاضرورة لارتدائه، فسمعت تعليقاتهن، فكانت الكثيرات منهن يدركن بأنّ النقاب ليس من الإسلام، ورغم قناعتهن تلك فهن يلتزمن به كرمز مميّز وكمواجهة تحدٍ للمجتمع الغربي."

لقد نقل المسلمون الغربيون من بلدانهم الأصلية عناصر كثيرة كافية لتجعلهم متطرفين:

نقلوا الموروث الثقافي الدخيل على الإسلام وجعلوه إسلامياً وتشددّوا في التمسك به. ونقلوا الصراعات الفكرية الكثيرة التي ينشغل بها العرب والمسلمون، ونقلوا مبدأ العداء للغرب وعاشوا في الغرب كأعداء داخليين لمجتمعه.

ولّما أصبحوا أصحاب حقوق مدنية كافية راحوا يتحدون قيم تلك المجتمعات بطرق بشعة لايستطيعون هم أنفسهم فعلها في بلدانهم الأصلية الإسلامية. فهذا يصرّح بأمله بأن يعود الجنود البريطانيون من العراق مغلّفين بأكياس نايلون.

وآخرون يطالبون بمدارس إسلامية تعلّم اللغة العربية (و- أو الباكستانية)، وآخرون يطالبون بتخصيص مساجد داخل المدارس والجامعات وأماكن العمل.

دعوة للمحاورة بذهن منفتح

عندما نشاهد برنامجاً وثائقياً أو علمياً وعندما نقرأ في مقرر مدرسي أو جامعي فقد اعتدنا على استقبال الفكرة كما هي ونقوم بحفظها في ذاكرتنا بشكل طبيعي.واننا في كافة المحاورات العامة نعرض أفكاراً ومعلومات كنا قد حفظناها في ذاكرتنا. كما ونتلقى بيسر معلومات جديدة ونقوم بحفظها في ذاكرتنا. وعندما تأتينا معلومة مذهلة، فاننا نقوم بمحاكمتها بمنطق وبحرية، وسنصل إلى نتيجة مفيدة على الفور. فان اقتنعنا بهذه المعلومة الجديدة سنقوم بخزنها في ذاكرتنا ونعتبرها معلومة جديدة وجديرة بالاقتناء. لكننا أثناء المحاورة المذهبية أو الدينية مع الآخر، نقوم بمنع دخول أية معلومة جديدة، ونطبق الباب كي لاتدخل إلى أذهاننا معلومات عقائدية تتعلق بالمذهب الآخر .وبالتالي فلن نجري أية محاكمة منطقية لأية فكرة جديدة أو لفكرة ليست مخزونة في ذواكرنا. بل إن الكثير من المسلمين يقومون باستمرار بإغلاق دائم للذواكر المتخصصة بالأمور الدينية والمذهبية، وهذا الإغلاق والإقفال المستمر لايسمح بدخول أية فكرة جديدة أو عابرة حتى لو كانت أحياناً تتفق مع عقائد مذهبهم نفسه. والذهن المنفتح هو الذي يجعل من المحاورة ممكنة ومفيدة. بينما الذهن المنغلق يجعل المحاورة عقيمة وغير مجدية. وعند الكثير من المسلمين رفض آلي للكثير من القضايا الجديدة، وهذا الرفض يصدر عندهم

openkanal.com

آلياً أي بدون تفكّر وبدون دراسة، فإذا اقترحت الآن على القراء اقتراحاً ربما سيحكم البعض على الفور بتحريمه، مارأيكم ياسادة ؟ إذا تحجبت المرأة وفوق الحجاب ارتدت باروكة شعر مستعار وخرجت إلى الشارع هل تكون متحجبة أم كاشفة ؟. الإجابة تتطلّب التفكير والتمعّن بالقضية قبل النطق بحكم آلي سريع فليس كل مسلم حاكم بأمر الله.

الميل لنظريات المؤامرة على الإسلام

في كل البلدان التي تم مسح آراء المسلمين فيها لم تر أغلبية المسلمين أن العرب هم الذين قاموا بهجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ على أمريكا. تراوحت النسب المئوية لمن يرى من المسلمين أن العرب هم من قاموا بالهجمات من مجرد ١٥٪ في باكستان إلى ٤٨٪ من مسلمي فرنسا. ومما يؤيد تنامي الاتجاهات السلبية في تركيا أن عدد الأتراك الذين يتهمون العرب انخفض من ٤٦٪ عام ٢٠٠٢ إلى ١٦٪ عام ٢٠٠٦. في كلمات أخرى، ترى الأغلبية في المجتمعات الإسلامية العشرة أن الحادي عشر من سبتمبر كان خدعة ومؤامرة دبرتها وارتكبتها الحكومة الأمريكية وإسرائيل أو جهات أخرى.

وبالمثل ينتشر التعصب والتحيز ضد اليهود انتشاراً واسعاً بين المسلمين، حيث تراوحت الأحكام السلبية والمعادية لليهود ما بين ٢٨٪ لدى المسلمين الفرنسيين إلى ٩٨٪ في الأردن (التي بالرغم من اعتدال الحكم الملكي بها إلا أن أغلبية سكانها من العرب الفلسطينيين). بالإضافة إلى ذلك ينظر المسلمون في بلدان بعينها (خاصة مصر والأردن) إلى اليهود بعين تملؤها الريبة ويرونهم مسئولين عن العلاقات السيئة بين المسلمين والغربيين.

وتمتد نظريات المؤامرة إلى قضايا وموضوعات أكبر. عند سؤالهم "من هو المسئول في المقام الأول عن الفشل في تحقيق الرخاء الاقتصادي في الأمم الإسلامية؟" ألقى اللوم ما بين ١٤٪ (في باكستان) و ٤٣٪ (في الأردن) على سياسات أمريكا والدول الغربية الأخرى بدلاً من إلقاء اللوم على المشكلات المحلية الداخلية.

عداء مسلمي الغرب للغرب وقيمه

ومن أغرب مايتّصف به مسلمو الغرب هو عداؤهم المعلن للغرب كله ولقيمه. بينما كان يتوجب عليهم أن يكونوا وسيطاً فكرياً وسياسياً بين الغرب باعتبارهم أبناءه، والدول الإسلامية التي تمتّ لهم بصلاة عديدة. وأن يكونوا ناقلين للجوانب الحضارية الغربية وناشريها في البلدان العربية والإسلامية.

إنهم بدل ذلك يختلقون مشكلات عديدة مع الغرب، فالمجتمع الغربي منفتح مع المسلمين ومتسامح وتضمن قوانينه العلمانية كافة حقوق المسلمين وغيرهم. ويتعامل الغرب بشفافية مع المسلمين وغيرهم. ليست هناك مشكلة دينية أو اجتماعية لمسلمي الغرب بل هناك مشكلة سياسية برزت مع تطور الأحداث.

لقد استفاد المسلمون والإسلاميون الأتراك من مجاراتهم للغرب ومن تفاعلهم معه وانتحلوا منه منهجاً عملياً في التفكير والأداء الديني ووصلوا بواسطته إلى السيطرة على تركيا حكومة ورئاسة وجماهيرياً. ويضاف إلى ذلك رضا الغرب كله على نهجهم العلماني.

فالجاليات الإسلامية في الغرب بشكل عام لاتمتلك تقنية التفهم والعيش مع الغرب، بل هي تعمل بطريقة التحدي والمواجهة له ولقيمه مستفيدة ومستغلة في تلك المواجهة تسامح الغرب نفسه. فالحجاب والنقاب المنتشر في الغرب هو نوع من التحدي أكثر من كونه تدين والتزام. وقد أكّدت باحثة ميدانية أنها أثناء لقاءاتها مع الكثير من المنقبات في الغرب عبّرن لها عن عدم اقتناعهن بشرعية النقاب، وأنهن إنما يلبسنه بهدف آخر، ذلك هو هدف إعلان الهوية والتميّز والتحدي للمجتمع الغربي. ترى مانوع هذا التحدي؟ إنه بلا شك يحمل في أحد أشكاله التحدي العنصري والطائفي.

تحدي الثقافة الأوروبية

ومن بين طرق التحدي التي يتبعها مسلمو الغرب تحديات كثيرة متعددة الجوانب للثقافة الأوروبية. فبعض المشايخ الأوروبيين يحرّمون تعلّم اللغات الأوروبية ويعتبرونها لغة العدو ولغة الاستعمار. كما يصرّ هؤلاء على إلقاء خطبهم في المساجد باللغة الأم (عربية وباكستانية وأردو) ويتمنّعون عن تعلم واستخدام اللغات الأوروبية.

أظهرت دراسة أجرتها جامعة تشيستر على ٣٠٠ مسجد في بريطانيا أن أئمة المساجد يفتقرون إلى المهنية والمؤهلات اللغوية للتصدي لانتشار "التطرف" في صفوف الشباب البريطاني المسلم. وأن ٨٪ فقط من أئمة المساجد، ولدوا في بريطانيا. وأن ٦٪ فقط من أولئك الأئمة يتحدثون اللغة الإنجليزية باعتبارها لغة التحدث الأولى. وأن جيل المهاجرين الأوائل هو المسيطر على إدارة المساجد البريطانية. وقال البروفسور رون جيفز إن هدف الدراسة هو البحث في أهلية أئمة المساجد للتكيف مع ثقافة بريطانيا المعاصرة. وطالب اللورد أحمد بمنع الأئمة الذين لا يتحدثون باللغة الإنجليزية، أو لا يفهمون الثقافة البريطانية من الممارسة. وقال الدكتور أسامة حسن إمام مسجد في لندن أن عدداً من المساجد لا يلبي حاجة المسلمين الذين ولدوا ونشأوا في بريطانيا.

وتكثر مظاهر تحدّي المسلمين للثقافة الأوروبية إذ يخطب أحد المشايخ ذات جمعة ويقول: "النساء الكاشفات واللحم المكشوف يحرّض الكلاب الجائعة." أنسي ذلك الخطيب بأنه يعيش في بلد غربي كافة سكانه تقريباً لايرون عيباً في كشف جسد المرأة؟

مصطلح المصالحة مع المسيحية

اعتاد الباحثون الإسلاميون استخدام هذا المصطلح انطلاقاً من الحروب الصليبية القديمة، والتي يعتبرها المسلمون صراعاً دينياً بين الإسلام والمسيحية. والحقيقة أن تلك الحملات لم تكن تحمل طابعاً مسيحياً صرفاً. ولم تكن حرباً

مسيحية على الإسلام بالمعنى الكامل للكلمة. فقد اعتاد الأوروبيون منذ عهد الرومان التطلع إلى بلاد الشرق وتوسيع نفوذهم نحوها، وكانت الحروب الصليبية نوعاً من ذلك التوسع. وفي حملات نابليون على مصر تقول الوثائق الفرنسية العديدة إن نابليون نفسه كان يحمل حلماً منذ نشأته، وهو تطلعه نحو الشرق ونحو تلك الآثار الفرعونية العريقة، إضافة لتطلعه لتوسيع النفوذ الفرنسي في أوروبا نفسها. ومن ذلك أنه قام باحتلال أجزاء كبيرة من دول أوروبا المسيحية نفسها.

ثم إن المسيحية العربية التي حافظت على تحالفها مع المسلمين طوال العصور الماضية، هل نتصالح معها ونحن متصالحون دائمون ؟؟.

كان يتوجب علينا أن ننسى الحروب الصليبية منذ لحظة خروج الجنود الأوروبيين آنذاك. فتلك معركة انتهت وطواها الزمن. أما أن نقيس كل المستجدات الحديثة بناء على تلك الحروب القديمة فلن نحقق من ذلك أية فائدة.

ففي عصرنا غزا الأمريكيون العراق لهدف واحد وهو خدمة اسرائيل. ثم بدأت حملاتهم على إيران لخدمة اسرائيل لالخدمة المسيحية. وإن اسرائيل نفسها قامت في أرض عربية ككيان قوي بفضل قوة وخبث المنظمات الصهيونية، لابدعم مسيحي ولابرضى المسيحية نفسها.

تصوير الغرب على أنه معاد الإسلام

بين المسلمين والغرب إشكاليتان ثقافيتان متبادلتان ومتناقضتان في آن معاً. فالمسلمون يصوّرون الغرب على أنه خصم معاد للإسلام. والغرب يصوّر المسلمين على أنهم هم الخصم المعادي للإسلام. ولهذين التصورين حضور تاريخي طويل ومستمر وهما يشكّلان أحد أسس الخلاف والصدام بين الطرفين. ومن الممكن أن يتجاوزا هذين التصورين بسهولة ونجد في الغرب أفراداً تعايشوا مع مسلمين أو تزاوجوا معهم أو اعتنقوا الإسلام وهؤلاء بالطبع استطاعوا أن يقضوا على ذلك التصور المعادي للمسلمين.

لايتوقف المسلمون عن ابتداع النظريات والطروحات التي تؤكد معاداة الغرب للإسلام. بل يتوقف المسلمون عند كل صغيرة وكبيرة في علاقتهم بالغرب،

فمسألة الحجاب في فرنسا كتب عنها الإسلاميون ملايين الصفحات ومازال الباحثون الإسلاميون يقفون عندها باستمرار. وقد وضع أحدهم كتاباً كبيراً بالفرنسية يعرض لفصول القضية وأبعادها.ويعتبر المسلمون عموماً أن كل من يكتشف جذور فتنة غربية تدل على عدائه للإسلام مبدعاً وسبّاقاً.وفي الوقت نفسه فالمسلمون ينشغلون برفض الحادث إعلامياً وخطابياً وكلامياً.

وفي شباط ٢٠٠٧ ابتدأت اسرائيل بحفريات تحت جدار الأقصى. ومنذ لحظة دخول الجرافات الصهيونية، قامت الفضائيات العربية بتحريض الشارع الإسلامي على الاستنكار، فاشتعل الاستنكار وتضخم وقيل في ذلك الكثير وكتب عنه الكثير وسيكتب عنه إلى ماشاء الله. لكن بعد مضي أشهر على ذلك الاعتداء على المقدسات الأثرية الإسلامية ماذا فعل المسلمون ؟ لاشيء بالطبع. وهذا يعكس المنهجية العربية المتوارثة والتي ترتبط باللغة العربية نفسها، من حيث إنها لغة إطناب وخطابة وجمالية. فكان الرد العربي والإسلامي لغوياً، وخطابياً فصيحاً، تماماً كفصول التاريخ الإسلامي القديمة، حيث أبدع الفقهاء والمدوّنون بتحليل ماتم تحليله ثم بنقد التحليل الجديد، ثم بانقسام الرأي حول النقد نفسه..الخ.

والغرب هو بشر وكيانات ومؤسسات بشرية مدنية، ويمكن التحاور معها والتوصل بالحوار إلى نتائج مرضية في كل صغيرة وكبيرة، ويستطيع المسلمون مؤسسات وأفراداً وهيئات وحكومات أن يتحاوروا مع الغرب بهدف إيجاد حلول للمشاكل الطارئة. كمشكلة الحجاب الإسلامي في فرنسا، مثلاً، ولكن لجوء البعض إلى تصوير الغرب على أنه العدو القديم والدائم للإسلام وللمسلمين، والاكتفاء بهذه الإجراءات كسياسة إسلامية ثابتة، فذلك لايجدي نفعاً. بل يزيد من حدة الخلاف بين الإسلام والغرب.

فالغرب في الحقيقة ليس عدوّاً للإسلام، والمسيحية ليست عدوّة للإسلام. بل إن سياسة أغلب حكّام الغرب الحاليين تؤدي إلى العدائية للإسلام. وإلى توظيف المسيحية وتسييسها فذلك يسير في سياسة العدائية للإسلام.

تصوير الإسلام على أنه معاد للغرب

وفي الغرب وبسبب أحداث السنوات الأخيرة تم تهويل صورة مفترضة وهي تشير إلى العدائية الإسلامية التاريخية للغرب المسيحي. وتم تهويل حجم الخطر الإسلامي المفترض فرأى الساسة بأنه شيوعية جديدة وحلف قوي جديد يهدد الغرب تهديداً حقيقياً. وتقوم الصهيونية بتهويل صورة الإسلام وبجعله خطراً كبيراً على الغرب كله. كما تنشط بعض الكنائس المسيحية الصهيونية بتخويف أبناء الغرب من الإسلام والمسلمين. وبقراءة سليمة للحدث السياسي الحالي نكتشف أن الغرب بكل قوته ووسائله لايحارب إلا المسلمين. ولا ينشغل إلا بهم وببلدانهم. فالغرب يتدخل بسلاحه وعتاده العسكري الضخم في مناطق إسلامية كثيرة ولايتدخل في مناطق غير إسلامية على الإطلاق.

والحقيقة أن الإسلام نفسه كشريعة وفكر ديني لايمتلك بداخله أي نوع من العدائية تجاه أحد بل هو يحمل لجميع البشر غصن الزيتون، ولايمكن أن نستنبط من الإسلام أو من القرآن الكريم أو الحديث النبوي مفاهيم تشرّع للمسلمين العداء للغرب. بل سنجد فيها مايدعونا للتعاون مع الغرب والحوار معه. واعتماداً على مفهوم معاداة الغرب للإسلام نجح المسلمون في خلق مصطلح جديد، وتمت إضافته إلى القواميس اللغوية والموسوعات السياسية العالمية وصرنا نسمعه في كل يوم، وهو مصطلح إسلاموفوبيا، والذي يعني كره الإسلام وممارسة العدائية ضد الإسلام. كما ويسعى المسلمون في الغرب إلى إصدر قوانين حكومية تجرّم من يمارس الإسلاموفوبيا. وقد أصبح هذا المصطلح في الغرب معادلاً لمصطلح معاداة السامية. إلاّ أنّ معاداة السامية تعتبر جريمة يحاكم كلّ من تثبت عليه.

وفي الثامن من أيلول تحدث بابا الفاتيكان (بنديكتوس) عن ضرورة إبقاء أوروبا محافظة على مسيحيتها، وألمح إلى ضرورة منع أسلمة أوروبا. ويندرج هذا الخطاب ضمن سياسة اعتبار الإسلام معادياً للغرب.

ويتحدث الكثير من الغربيين هذه الأيام عن تصوراتهم بأن الإسلام والمسلمين هما العدو الأوحد للغرب. وتلك تصورات تدل على جهلهم بالإسلام وعلى قلة معرفتهم بالمسلمين وبالتاريخ الإسلامي. وتدلّ أيضاً على حالة مرضية حقيقية في ثقافة وفي عقول هؤلاء المتحدثين. إنهم مرضى حقيقيون، وإن وجدنا بينهم الساسة والحكّام والقادة ورجال دين مسيحيين فتلك ثقافة مرضى.

ظلّ هذا المرض متوارثاً في أوروبا منذ العصور الوسطى. حين كان ينظر إلى المسلم على أنه الغول الهالك والمدمّر والمتعطش للشهوات. وقد ظهرت تلك الرؤية الغربية في الأدب الغربي الوسيط وفي الفنون وغيرها، واستمرت في بعض النتاجات التي تلتها وهاهي تعود للظهور اليوم بشكل واسع النطاق.

ظاهرة الاحتجاج على المدّ الإسلامي

هناك حركة من السخط والهيجان أخذت في التململ، في أوساط النخب الأوروبية، وبقدر أكبر بكثير داخل الأوساط الجماهيرية التي تحتج بصوت آخذ في الارتفاع أمام التطورات الجارية. هذا الشعور عبّر عنه بالخصوص القانون الفرنسي ضد الحجاب، وعبر عنه التبرم الذي أثاره تطبيق نفس القوانين على الرموز الدينية المسيحية كذلك، كما يعبر عنه الإصرار على تقديم الخمر في العشاءات الرسمية. ويذكر أنه في العديد من المدن الفرنسية في بداية سنة ٢٠٠٦ تعمّد توزيع الشوربة بلحم الخنزير على الفقراء، وبهذا يتم إقصاء فقراء المسلمين عن سبق نية وتعمد من تلك المعونات الغذائية.

كما عبّرت الكنيسة البابوية في (آب ٢٠٠٧)عن قلقها الكبير بسبب ظاهرة المدّ الإسلامي الذي يغزو أوروبا، وأكّدت بأنها عازمة على التصدي له بالحوار بين الطوائف المسيحية نفسها وبين المسيحية والمسلمين.

كما عبّر عنها كبار الساسة في الغرب ومنهم جورج بوش الذي قال: لقد أصبحت ظاهرة التطرف الإسلامي عالمية وتفشت في العالم كله ويتوجب علينا أن نسلّم بتفشيها ونتعامل معها وفق ذلك.

وقد ناقش البرلمان الأوروبي مرات عديدة ظاهرة المدّ الإسلامي داخل الاتحاد الأوروبي... واقترحت إجراءات وقوانين تحدّ منها.

الرؤية الغربية الكاذبة حول الإسلام

انتشار الإسلام باكتساح الممالك النصرانية ودخول كثير من النصارى الإسلام عن رغبة وحرية في اعتناقه، تلك حقيقة لايعترف بها الغرب. يزعم الأوروبيون دوماً بأن الإسلام انتشر بالنار والسيف ومع بطلان هذا الافتراء تاريخياً إلاّ أن هذا الاعتقاد مازال موجوداً لدى البعض. وقد توجهت اوروبا إلى الطعن في نبي الإسلام حتى إن المستشرقة الألمانية كتبت تقول:" لم يعرف التاريخ شخصية أثارت من الخوف والكراهية وحتى الاحتقار في الثقافة الغربية أكثر من شخصية محمد(صلى الله عليه وسلم) في العالم النصراني وحتى دانتي في (الكوميديا الإلهية) عبّر عما يشعر به عدد كبير من النصارى في القرون الوسطى" هذه النظرة ما تزال قائمة والدليل على ذلك ما كتبه سلمان رشدى واحتفال أوروبا به وتكريمه. حتى عندما قالت آنا ماري شميل أن ما كتبه رشدي آذى مشاعر ملايين المسلمين، انطلقت نيران الانتقاد لها في ألمانيا مما يبرهن أنه حتى في عام ١٩٩٥ ما يزال من غير الممكن سياسياً بل ومن المحظور إظهار أي تعاطف وتفهم للإسلام." العقلية الغربية ترى أن أوروبا هي مركز العالم وأن جذور الحضارة الأوروبية تعود إلى اللاتين واليونان متجاهلين تماماً التأثير الإسلامي مقنعين أنفسهم أن حضارتهم أو ما يطلق

عليه مشروع التحديث هي الأفضل وهي قمة الحضارة ولا بد أن تسود العالم. إن العقلية الصليبية مستيقظة جداً وحية. ومازالت تتحكم بموروث الغرب في موقفه من الإسلام. وهي التي تفسر الإمبريالية الثقافية التي ظهرت في كتابة فرانسيس فوكوياما وصموئيل هنتنجتون. وتتلخص نظرتهم بأن العالم الإسلامي سوف يختفي عاجلاً أو آجلاً أو يصبح هامشياً، وهذه الأفكار يمكن أن نعيدها إلى تفكير ما يسمى عصر التنوير الأوروبي.

مصطلح التهديد الأوروبي للغرب

يستخدم بعض المحللين الغربيين مصطلح التهديد الأوروبي للغرب، انطلاقاً من أنّ المسلمين الأوروبيين باتوا يهددون الأمة الأوروبية. ويسأل دانيال بايبس قائلاً "*متى يصبح التهديد الأمني في أميركا الشمالية وأوروبا الغربية خطراً داخلياً ؟*"

ويقول الخبير في شؤون القاعدة روهان غوتاراتنا إن الهجمات الرئيسة التي وقعت في العقد الماضي في الغرب كانت جميعها من تنفيذ مهاجرين ما عدا تفجير أوكلاهوما سيتي في ١٩٩٥. ولعل نظرة عن كثب تكشف أن هؤلاء لم يكونوا أي نوع من المهاجرين، بل مهاجرون من خلفية محددة: فمن الـ ٢١٢ مشبوهاً وإرهابياً محكوماً (بأعمال إرهابية) بين ١٩٩٣ و ٢٠٠٣، ٨٦ في المئة منهم كان من المهاجرين المسلمين، والباقون غربيون معتنقون جدد للإسلام.

وفي ألمانيا تمّ القبض على أربعة أشخاص اتهموا بالتحضير لعمل إرهابي كبير يرتبط بالقاعدة. وقيل إنّ ثلاثة منهم هم من أصل ألماني مسيحي اعتنقوا الإسلام منذ وقت قريب وتحولوا إلى معادين للغرب نفسه.

والغرب اليوم لايحصر خشيته من التطرف الإسلامي القادم إليه من الخارج، بل هو يخشى مسلميه الذين هم قسم من بنيته العامة. وإنّ النسبة الأكبر من هؤلاء المسلمين الذين يقلقون الغرب هم من أصول غربية مسيحية. فقد اعتقل وحكم عشرات من هؤلاء بتهم تتعلق باعتداءات إرهابية.

يدعون لتدمير الفكر الإسلامي المتشدد

يقترح شتاين العمل على تدمير ايديولجية الإسلام الراديكالي، (ولايقصد بذلك المتطرف فحسب)، ويدعو لمهاجمته في كل مكان. حتى في البلدان الإسلامية نفسها، والتدخّل لدى أنظمة الحكومات الإسلامية لتيسير تلك المخططات، والمساعدة في إصلاح الإسلام فيها (على حدّ قوله)، ونشر المدنية والحضارة الغربية إلى أماكن ومناطق جديدة ونائية. والهدف منها الإبقاء على الظاهرة الغربية المهددة بالزوال في مناطق أخرى جديدة.

ونلاحظ التدخل الأمريكي في شؤون المدارس الدينية الباكستانية التي يبلغ عدد طلابها قرابة مليونين من الذكور والإناث. كما نتذكّر حادثة مهاجمة المسجد الأحمر من قبل الجيش الباكستاني التي قضت على آلاف من المعتصمين بداخله. إنّ تلك المدارس الدينية هي مجتمعات حقيقية قائمة في باكستان. ولمّا كان عدد طلابها يقارب المليونين فهذا يعني أنّ أسر هؤلاء الطلاب التابعين أيديولوجياً لتلك المدارس يصل عددهم إلى أكثر من عشرة ملايين. فيصبح من المستحيل إزالة تلك المدارس. ويستحيل تنفيذ خطة شتاين ونظرياته.

وإن كافة تنظيرات الغربيين بما يخصّ الإسلام والمسلمين تكاد تكون بعيدة عن الواقع، فهم يجلسون بعيداً ويضعون تصوّرات ومخططات شبه ألعاب ألكترونية، ويعتمدون في تصميمها على أسس رقمية ورياضية. دون أن يتفهموا الحقائق التي هي على أرض الواقع. فمن هذه الحقائق التي يدركها أي مسلم ولا يدركها أولئك المنظّرون أن الإسلام هو الدم الذي يسري في عروق كل مسلم.

مؤسسات دولية تسعى لوقف أسلمة أوروبا

على المستوى الدولي. هناك حركات وجماعات مسيحية متطرفة كثيرة تسعى لوقف أسلمة أوروبا. ويزداد عددها باستمرار. إضافة لزيادة تماديها على المسلمين في كل يوم.

obeikandl.com

"الاتحاد الألماني للحركات المدنية لحماية الديمقراطية والوطن وحقوق الإنسان"

هذا الاتحاد يسعى إلى "الوقوف ضد تكوين مجتمع إسلامي أصولي متواز في ألمانيا"، و"إلى الوقوف أمام المسلمين الذين يريدون من خلال مطالبهم محاولة فرض بعض نصوص الشريعة الإسلامية على المواطنين الأوروبيين". ومن بين مطالب الاتحاد "مراجعة المادة الرابعة من القانون المدني (الخاصة بحرية ممارسة الدين) وذلك فيما يتعلق بتطبيقها على الإسلام السياسي، ومنع بناء المآذن و"تجاهل البنوك والممولين الذين يقدمون ودائع مالية مطابقة للشريعة الإسلامية حتى لا يدخل النموذج الاقتصادي الإسلامي في نظامنا الاقتصادي". وقد قام أحد أعضاء الاتحاد بتقديم بلاغ ضد انتشار القرآن زاعماً بأنه مليء بسبّ الأديان وأتباع الديانات والجمعيات العقائدية" وأيضا "التحريض على العصيان". هذا البلاغ رُفض من قبل المحكمة البدائية في هامبورغ. وكان قدوة الاتحاد القس رولاند فايسلبرغ في شرق ألمانيا الذي أحرق نفسه يوم ذكرى الإصلاح البروتستانتي عام ٢٠٠٦ تعبيراً عن خوفه من انتشار الإسلام في ألمانيا.

شكاوى المسلمين البريطانيين

تقول السيدة عديلة تيلاديا: كامرأة منقبة لا أشعر بالأمان هنا في بريطانيا. فعندما أسير في الشارع يُنظر إلي وكأني ارتكبت جريمة ما. يأتي ذلك رغم أنني لا اتفق مطلقاً مع المسئولين عن محاولات التفجير في مطار جلاسكو ووسط لندن، ولا أرى أن هناك ما يبرر قتل المدنيين الأبرياء. وأتعرض وزوجي للإساءة اللفظية من أناس جهلاء عادة ما يلبسون جميع المسلمين الثوب ذاته. وما أريده هو أن يعرف الناس أنني لا أرتدي الزي الإسلامي لترويع الناس، بل لتغطية نفسي _ إنه ليس رمزاً للعدوان أو الإرهاب. ويقول المغترب سعيد لادري: المحاولات الإرهابية الأخيرة قضت على الشغل تماماً. والانجليز يخشون الآن دخول المحال العربية. ما حدث سوف يؤثر على صورة العرب والمسلمين في لندن. وأشعر أن العرب خائفون من اتهامات البريطانيين لهم ، الأمر الذي يؤذي مشاعر العرب بالطبع.

الجهاد الألكتروني واجب إسلامي

مئات المواقع على الشبكة العالمية وكلها تمنحك مئات الوصلات المشابهة، وتنشغل جميعها بمناهضة الإسلام والمسلمين وبانتقاد نفوذهم المتزايد وتمددهم في أوروبا. ويزور هذه المواقع يومياً بضعة ملايين من أبناء الغرب، فهي مواقع شهيرة وشعبية ولها مؤيدون كثر في الغرب. منها مواقع ألمانية وفرنسية وبريطانية. وتنشر هذه المواقع انتقادات لاذعة ومؤلمة للمسلمين. ويستطيع الزائر إضافة رأيه وتعليقه على الموضوعات المنشورة فيصبح المشاركون في مواضيعها آلاف من الأوروبيين. ومن خلال أسماء المشاركين والزائرين لاحظنا أنّ أغلبهم يهود أوروبيون. وهؤلاء تكون ملاحظاتهم شديدة الوقاحة والكره للمسلمين. ويتدخل نادراً بعض المسلمين الغربيين ويدافعون عن دينهم وعن أتباع الإسلام.

المعركة على هذه الصفحات شديدة الحدّة والحرب فيها مشتعلة باستمرار. وهي تحدث تأثيراً كبيراً في الرأي العام الغربي بل وتحضّر لمواجهة حقيقية ضد المسلمين. مما يعني ضرورة التحرك الثقافي الفعال عند المسلمين والعمل على مواجهة تلك الفتنة الكبيرة التي يجري تحضيرها. ويستطيع كل عربي أو مسلم أن يكون فعّالاً في مواجهة تلك الفتنة بدخوله على هذه الصفحات باللغات الأوروبية وبترجمة مواضيعها وبإضافة رأيه المدافع عن الإسلام والمقنع للغربي. لقد أصبح تدخّل المسلمين في تلك المواقع ضرورة ملحّة وواجب ديني وجهاد إسلامي حقيقي، ومن أشهر تلك المواقع التي ندعو لزيارتها www.politicallyincorrect.de. ومن هذه المواقع ننقل بعض النصوص القليلة العنصرية والتي يمكننا نشرها باللغة العربية:

- واحد من المشكلات الشديدة الخطورة على الغرب تعاظم الإسلام ودوره وانتشار ثقافته بسرعة في أوروبا. والنتيجة التي سنشهدها هي التغير العميق الذي سيبدل حياتنا كلياً. وأسلمة عالمنا هذه ترتبط بالسياسة وبرؤوسنا وبأصواتنا. فنحن مقدمون على ديكتاتوريات ظالمة. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو هل تتواطأ حكومات الغرب مع الإسلاميين وتفسح لهم مجال الارتقاء؟.؟. هل يتواطأ بعض

obeikandl.com

المحافظين مع الإسلاميين ويعملون على تقويتهم بواسطة الانتخابات؟.؟ إنه لابد لنا من العمل على هدم الديمقراطيات المزيفة في الغرب التي تضرّ بمصالحنا. فالتعددية الثقافية شعار يؤدي للتمدد الإسلامي، ودعاتها الكثيرون في الغرب ليسوا سوى مقربين من الإسلاموية

- يتمدد الإسلام في الغرب ضارباً عرض الحائط كل ثقافتنا ونافياً لها وللقيم المدنية والحضارية المعاصرة.
- لقد حلّت محلّ السياسة الرسمية مصطلحات جديدة وباتت همّ السياسيين وشغلهم الشاغل: وهذه المصطلحات هي الإسلاموفوبيا والتعصبية والإرهاب الإسلاموي والعنصرية وغيرها.
- بدعم من دعاة الديمقراطية في بلداننا تنشط الجماعات الإسلامية وقريباً سيكون لها إمارات إسلامية دكتاتورية في أوروبا.

جماعة "الرب يريد المحبة" تسعى لتنصير المسلمين

تعتقد هذه الجماعة بأنّ وقف أسلمة أوروبا ممكن بطريقة سهلة كما تظن وهي تنصير المسلمين في البلدان الإسلامية، وهي ترسم خططاً وبرامج لتنصير الشعوب الإسلامية. ولاشك بأن القائمين على هذه الجماعة سذّج ومحسوري الرؤية. إذ يستحيل على الغرب كله وبكل قدراته أن ينصّر أكثر من شخص واحد متهور في أي بلد إسلامي. وقد برزت في ألمانيا جماعة متطرفة تحمل اسم "الرب يريد المحبة"، تنشر الفساد والتفرقة. ففي يوليو/ ٢٠٠٧ لفتت هذه الجماعة الأنظار إليها أثناء ندوة – ضمن سلسة من الندوات الإعلامية نظمتها مدينة ميونخ – برئاسة أخصائي القانون والخبير في شؤون الإسلام في جامعة أيرلنغن ماتياس روهه تحت عنوان "القانون الألماني والشريعة الإسلامية". هذه الندوة أُنهيت بسبب الصخب الكبير الذي أشيع أثرها. وننقل عن الأنترنيت نصاً لهذه الجماعة عنوانه: محاربون صليبيون.

obeikandi.com

وجاء في النص: " كان نداء البابا اوربان للمحاربين الصليبيين الأُوَل: "مشيئة الرب". وكان عليهم أن يطردوا المسلمين من الأرض المقدسة". ومكتوب على صفحة الويب "الرب يريد المحبة" التي أُعدت في ربيع ٢٠٠٧ بمناسة الاحتفال بعيد الميلاد الثمانين للبابا بندكتوس السادس عشر: "لقد حان الوقت أن نتحرك لحماية الغرب وكل المهددين من الإسلام الراديكالي. هكذا يرى المحاربون الصليبيون المعاصرون أنهم ينقذون الغرب من الأسْلمة، بقولهم:

يتوجب علينا "محاولة إعادة تنصير البلد الأصلي والتبشير المسيحي بين المسلمين بحذر، حيث ينبغي علينا محاولة إبعادهم عن تمسكهم بـ"النبي محمد" بطريقة لطيفة".

المسيحيون الراديكاليون يعبّئون ضد الإسلام

يصف السيد أندرياس رواينز مسؤول الحوار بين الأديان بأسقفية ميونيخ نشاط المسيحيين الراديكاليين قائلاً:

"إنهم حقا مجموعة صغيرة من حيث العدد، ولكنهم يُحدثون ضغطاً هائلاً من خلال رسائل القرّاء والمكالمات التليفونية التي تصل الأسقفية وفي الندوات العامة".

ويتابع قائلاً: "إنهم يخلقون جواً من الاضطراب، ويتسببون في أضرار كثيرة". بينما تحاول الكنيستان الكبيرتان توضيح الديانات المختلفة بموضوعية كما تسعى كنائس كثيرة إلى ممارسة الحوار يرى المسيحيون الأصوليون أن الإسلام خطر جديد يهدد أوروبا. وفي رأي السيد أندرياس رينز أن هذه المجموعات تنتشر على نطاق واسع من أقصى اليمين إلى وسط المجتمع.

ولا تعتبر حركة *"الرب يريد المحبة"* في هذا المجال إلا شيئاً بسيطاً، إذ تنتشر الحركات المسيحية المتطرفة المعادية للإسلام في الغرب عموماً.

وزير إيطالي يرتدي تي شيرت معاد للإسلام

وزير الإصلاح الإيطالي روبيرتو كارديرولي من حزب رابطة الشمال قد اضطر إلى الاستقالة في شباط بسبب ارتدائه "تي شيرت" طبعت عليه إحدى الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للرسول محمد. ولا فرق بينه وبين رفيقه الحزبي ووزير العدل روبرتو كاستلّي الذي قال: "لا أعتقد أن هناك إسلاماً وسطياً" وأطلق على المجلس الإسلامي الإيطالي الذي أسسته وزارة الداخلية حديثاً بـ"الوحش".

جمعية ((باكس أوروبا)) شعارها: أوقفوا أسلمة أوروبا

يُعد الكاتب أودو أولفكوته محرر صحيفة فرانكفورتر ألغماينة السابق أشهر شخصية معارضة للحركات الإسلامية بجمعيته المسماه "باكس أوروبا". ويريد أولفكوته تأسيس حزب خاص معارض للإسلام تشارك فيه كل القوى الناقدة للإسلام تحت قيادته. وقد خططت جمعية "باكس أوروبا" لمظاهرة كبيرة في بروكسل بمناسبة ذكرى الحادي عشر من أيلول. وحسبما أدلى القائمون على المظاهرة كان على المتظاهرين من جميع أنحاء أوروبا الهتاف بشعار "أوقفوا أسلمة أوروبا". إلا أن عمدة مدينة بروكسل فريدي تيلمنز قرر منع المظاهرة، وكان ينبغي أن تُعقد بمدينة كولونيا. لكن السيد أولفكوته اعتذر عن المشاركة في كولونيا بحجة أن الأمن لن يكون مكفولاً للمتظاهرين، أو ربما لأن أولفكوته لم يجد الكثير من المساندين المشاهير؟

الخوف من الإسلام والفخر بذلك

إنّ صفحات الأنترنت مليئة بمثل هذه النوازع التي تعبّر عن كراهية المسلمين. وإنّ ما يزيد على أربعة ملايين زائر يقرأون صفحة الانترنت www.politicallyincorrect.de الخاصة بالسيد ستيفان هيرا من مدينة برغش غلادباخ مدرس الدين الكاثوليكي بالمدرسة الابتدائية.

وعلى صفحة الويب يمكن شراء شارات وفناجين مكتوب عليها *"الخوف من الإسلام والفخر بذلك"*. وفي التعليقات على صفحة الويب يقرأ المرء على سبيل المثال ملحوظات عن فضائح اللحوم الفاسدة التي تسبب فيها المسلمون: "لا بد من إيقاف الفضائح الكبيرة تجاه الخبز الألماني" ويتساءل أندرياس فون مونتبارد قائلاً: "هل يمكن وصف التغذية المنتظمة بالقاذورات للمواطنين بجهاد التغذية؟". ولم يقم أحد حلقة مناقشة على هذه الصفحة بالوقوف حيال ترعرع الكراهية ضد المسلمين. ويكتب أحد مستخدمي هذه الصفحة دون أن يذكر اسمه: "لماذا لا ينبغي أن أكره المسلمين بصفة عامة مثل النازيين؟ فكلاهما أيدلوجيا فاشية دينية مزيّفة" حسب قوله.

تعكس صفحات الأنترنيت هذه مايحمله المتعصبون في الغرب على الإسلام، وليس أمام المسلمين سوى مواجهة تلك الأحقاد بالحكمة والحوار المنفتح، وبالمشاركة في هذه الصفحات نفسها.

اتحاد الكنائس البروتستانت ((أسْلمة ألمانيا ممكنة))

إلى جانب المسيحيين المعادين للإسلام يوجد أيضاً اتحاد الكنائس البروتستانتية، وهو عبارة عن تنظيم شامل يضم حوالي ٣،١ مليون شخص من المحافظين البروتستانت في ألمانيا. وينشر السيد أولفكوته أفكاره الجنونية في مجلة الإعلام المسيحية "برو" الخاصة بالاتحاد. والسيد هارتموت شتيب، السكرتير العام لاتحاد الكنائس البروتستانتية، فيرى أن حملة أولفكوته ضد أسْلمة أوروبا "مسألة مهمة". ويضيف قائلاً: "أرى أن أسْلمة ألمانيا ممكنة. فبالنسبة للإسلام لا تتعدى أن تكون مسألة ديمغرافية. والإسلام يريد السيطرة، وهذا ما أراه واقعياً".

شعار: أوقفوا أسلمة أوروبا

منعت السلطات البلجيكية مظاهرة معادية للإسلام في ٢٠٠٧ ذكرى أحداث الحادي عشر من أيلول أرادت عدة منظمات أوروبية من ألمانيا وهولندا والدانمارك وبريطانيا الزحف بها على بروكسل والتظاهر تحت شعار أوقفوا أسلمة أوروبا. وتعكس هذه الشعارات إحساس الأوروبيين بظاهرة الإقبال الكبير على الإسلام واتجاه أوروبا الواضح نحو الأسلمة.

جماعة تدعو المسلمين لاعتناق المسيحية هذه الجماعة تزعم بأنها عثرت على الحلّ السهل المنال حسب دعاتها، وهو أيسر وأسهل الحلول لمشكلة النزاع القائم مع الإسلاميين كما تعتقد. ومن سذاجتها فهي تعمل على محاولة تنصير مسلمي العالم كله، وبتنصيرهم تنتهي الأزمة. وهذا الحلم الساذج نجد جذوره في تاريخ اسبانيا التي أجبرت مسلميها في العام ١٣٢٥ على اعتناق المسيحية أو مواجهة الإبادة، ورغم عودة الملايين منهم إلى المسيحية مضطرين فقد أبيد أكثرهم وأجبر نصف مليون وهم الذين بقوا أحياء على مغادرة البلاد والتوجه نحو تركيا المسلمة.

الكنائس الكبرى في ألمانيا ليست محصنة ضد تأثير جماعات المحافظين البروتستانت، فعلى سبيل المثال يغلب تأثير هؤلاء المحافظين على ورقة العمل التي قدمتها الكنسية البروتستانتية حول التعايش بين المسيحيين والمسلمين في ألمانيا. وكانت السيدة كرستينا شرماخر، رئيسة معهد الإسلام التابع لاتحاد الكنائس البروتستانتية، مشاركة في كتابة الورقة التي تحمل عنوان "الوضوح وحسن الجيرة".والسيدة شرماخر تنادي بوضع حد أمام الإسلام، وهذا الحد موضع خلاف لدى الجمهور. وإذا سألها أحد عن الإسلام، لن يحصل على إجابة. لكنها لا تتردد في أن تقول "إن المسيحية هي الديانة الوحيدة الحقة". بناء على ذلك ألّفت تقويماً للصلاة يُصلى فيه للمسلمين الذين ينبغي عليهم أن يتعرفوا أخيراً على المسيح. وتعلق السيدة سابينا شيفر من معهد ارلنغن لمسؤولية الإعلام قائلة: "إن المحافظين البروتستانت يستغلون الحركة المعادية للإسلام لمصالحهم". وهي تراقب منذ سنوات صورة الإسلام في وسائل الإعلام، وتوضح السيدة المتخصصة في شئون الإعلام أن "الحجج

obeikandl.com

التي تستند عليها الحركات المدنية يغلب عليها الطابع المسيحي الأصولي". لقد أصبح الجو أكثر توتراً، فبعد أن أظهر المسلمون وجودهم في المجتمع الألماني بصورة واضحة من خلال بناء المساجد أصبحت ردود الفعل متوترة تكاد تصل إلى حد الإيذاء.

كما أن الناقدين من المتخصصين في علوم الإسلام، أمثال السيدة اورزولا شبولر-شتيغمان من جامعة ماربورغ، مصابون بحالة من الفزع بسبب الانفعال الذي أحدثه الجدل حول الإسلام.

السيدة شبولر-شتيغمان معروفة بنقدها اللاذع إلى حد ما للجمعيات الإسلامية وتحذر من استغلال مخاوف المدنيين. وتقول: "من الصواب أن يكون المرء ناقداً، ولكن لا داعي لتصعيد الموقف".

الفزع من الشريعة الإسلامية

تقدمت رينات سومر نائبة رئيس وفد البرلمان الأوروبي حول تركيا بطلب لعقد جلسة استماع حول " الشريعة في أوروبا ".

وقد أزعجها وجود اتجاه في مؤسسات الاتحاد الأوروبي القانونية وفي بعض الدول الأوروبية قوانين الشريعة الإسلامية في نظامها القانوني بسبب تزايد أعداد المهاجرين القادمين من الدول الإسلامية. وقفت رينات لتقول: " إن الشريعة الإسلامية لا تطابق على الإطلاق ـ حتى في شكلها المعتدل ـ القيم والمعايير الأوروبية، وإن وجود أشكال مختلفة للشريعة لا يغير من هذا الأمر شيئاً " واعتبرت ما سمته بـ "الأسلمة الزاحفة" استناداً إلى الفهم الخاطئ للتسامح "خطراً متنامياً" وطالبت بالدفاع عن الثقافة الأوروبية قائلة: "علينا أن نكون واضحين ومحددين في تعريفنا للثقافة والقيم الأوروبية والدفاع عنها".

وحذرت سومير ـ الألمانية التي تنتمي إلى الحزب الديمقراطي المسيحي ـ من إدماج بعض القوانين الإسلامية في القوانين الأوروبية مؤكدة أن هناك " خطراً متزايداً من

obeikandl.com

أن يؤدي إنشاء مجتمعات إسلامية موازية إلى تطبيق الشريعة الإسلامية كنظام قانوني إضافي داخل المجتمعات الأوروبية". وتطرقت سومر إلى الحجاب، ورأت أنّ الحجاب رمز سياسي وليس دينياً.

ونوقش في الاجتماع احتمال منع الإسلام جذرياً في أوروبا، فرأت سومير أن منع الإسلام أو رموزه وشعائره في الاتحاد الأوروبي أمر غير وارد، فذلك لن يخدم أي طرف لأن حرية الاعتقاد والعبادة هي من الحقوق الأساسية المكفولة للجميع، لكن الدين كما قالت: " ينبغي أن يبقى شأناً ذاتياً خاصاً ولا يتعدى ذلك إلى الأمور العامة والاجتماعية والقانونية ".

الأحزاب العنصرية الأوروبية

كانت الأحزاب العنصرية الغربية بوجه عام منشغلة بمواجهة اليهود والأفارقة السود أحياناً وغيرهم من الأجانب. لكن بفضل تطور الأحداث أصبح شاغلها الوحيد اليوم هو المسلمين. إذ يكمن التهديد القوي الوحيد للمسلمين الأوروبيين في احتمال سيطرة الأحزاب العنصرية على الحكومات وقيامها بابعاد المسلمين طرداً أو التخلص منهم إبادة. ويرى المحللون الغربيون أن تلك الأحزاب تعارض بقوة تزايد الهجرة والمهاجرين. وقد توالدت هذه المعارضة في العديد من الدول الأوروبية واستطاعت أن تفرض" ليس فقط مراقبة صارمة وفعالة على الحدود، بل طرد المهاجرين الذين لم تسوَّ وضعياتهم القانونية بعد. إن حركة ضد الهجرة آخذة في التشكل أمام أعيننا، وبشكل غير محسوس. وإذا كان خطابها لا زال محتشماً" فإن قدراتها هائلة بالفعل. إن العناصر المعادية للهجرة وللإسلام، لها على العموم جذور فاشستية ونازية، ولقد تمكنت مع الزمن من كسب أفاق كبرى، وتجردت من معاداتها للسامية التي رافقتها في جذورها ومن نظرياتها الاقتصادية المريبة لتركز كل اهتمامها على المسائل العقدية، والديمغرافية، والهوياتية، وعلى دراسة الإسلام والمسلمين. وإن "الحزب الوطني البريطاني" وكذلك ال"فلامس بيلانغ البلجيكي" يعدّان نموذجين يتطوران بقوة تجاه فرض قوتهم الانتخابية. بل إن السباق

obeikandl.com

نحو الرئاسة الفرنسية قد تلخص سنة٢٠٠٢ في منافسة مفتوحة بين "جاك شراك" والفاشي الجديد "جون-ماري لوبين" وهناك أحزاب أخرى من هذه الطينة سبق لها بالفعل أن وصلت إلى الحكم. مثل"جورج هايدر"وحزبه "فراي هيتليتش" بالنمسا وقد حكموا لفترة قصيرة. وهناك عصبة الشمال الإيطالية التي ظلت لمدة طويلة من مكونات التحالف الحاكم. فهذه الأحزاب يتنبأ لها بعض المحللين بالاتساع والتقدم وبالقدرة على الاستيلاء على السلطة لأن خطابها المعادي للإسلاميين، وفي غالب الأحيان للإسلام يجد صداه في المجتمعات الأوروبية. وأحزاب التيارات المهيمنة سوف يكون عليها أن تتبنى ولو جزئيا هذه الأحزاب العنصرية(كمثال على ذلك الحزب المحافظ في الدانمارك" الذي تمكن من العودة إلى الحكم -بعد ٧٢ سنة قضاها على هامش الحياة السياسية-أساساً بسبب السخط الذي تسببه الهجرة لدى هذه الشعوب). وهذه الأحزاب سوف تستفيد بكل تأكيد من الوضع عندما تتضخم الهجرة أكثر وتصل إلى نسب مرتفعة في أوروبا مع ما يحتمله ذلك من هجرات مكثفة قادمة من إفريقيا ، كما تشير إلى ذلك العديد من المؤشرات. لكن من الانصاف أن نتحدّث عن تراجع نفوذ هذه الأحزاب وتضاؤل مؤيديها في أوروبا. فالحزب الفاشي الفرنسي الذي يتزعمه جان ماري لو بين لم يحز الا على أصوات ضئيلة للغاية في انتخابات فرنسا ٢٠٠٧. لكنّ مؤيدي تلك الفكرة يذهبون بعيداً في تصوراتهم لمأساة المسلمين القادمة على حدّ تعبيرهم ، فيقول رالف بيتيريس: إنه بمجرد وصول تلك الأحزاب الفاشية إلى السلطة سوف تلغي هذه الأحزاب الوطنية ، التعددية الثقافية ، وسوف تعمل على إعادة نشر وتكريس القيم والتقاليد الأوروبية. ولا يسعنا إلا أن نخمن حول الوسائل التي سوف يستعملونها وحول رد فعل المسلمين. يقف "رالف بيتيرس" طويلاً عند المظاهر الفاشية والعنيفة لبعض الفرق ويتوقع أن تكتسي ردود الفعل المعادية للإسلام والمسلمين أشكالاً تتسم بالتهديد. بل هو حتى يرسم سيناريو تُرى فيه "بواخر أمريكية وقد رست في الموانيء الأوروبية ، والمارينز وقد نزلوا إلى الأرض في سواحل مدينة بريست الفرنسية ، أو بريميرهافن الهولاندية ، أو باري الإيطالية من أجل تأمين إجلاء المسلمين من أوروبا في أحسن الظروف.

اليمين الفرنسي يتبنى الفاشية

رغم اندحار الحزب العنصري المتطرف الذي يترأسه جان ماري لوبين، فإن الحزب اليميني الذي انتخبه ٥٦ ٪ من الفرنسيين، والذي أصبح زعيمه نيكولا ساركوزي رئيساً للجمهورية، فقد تبنى عنصرية وفاشية شديدة التطرف. وأعلن عن عدائه للوجود الإسلامي في فرنسا، كما أوضح موالاته الكبيرة للولايات المتحدة وللصهيونية العالمية. وساعة إعلان فوزه بدأ الصراع بين المسلمين الفرنسيين والحكومة، حيث انطلق الفرنسيون من أصول عربية وإسلامية للاعتراض على سياسته. وأحرقوا مئات السيارات، واعتقل مئة منهم. لقد كانت فرنسا طوال تاريخها معادية للمخططات الصهيونية والأمريكية.ومساندة للقضية العربية إلى حدّ ما، وكانت على الدوام تلتزم بمباديء وقيم إنسانية انطلاقاً من قيم مفكريها وفلاسفتها وأدبائها، وقيم الثورة الفرنسية. واليوم تعلن فرنسا ساركوزي تخليها عن تلك القيم والخوض في تجربة العنصرية والتطرف. وكلّ ذلك في سبيل مواجهة النشاط الإسلامي الذي يتمدد في العالم وفي أوروبا. لكنّ قراءة متأنية لمستقبل فرنسا تدل على أنها ستبقى فرنسا التي عرفها العالم كله، فرنسا القيم والفكر والأدب والإبداع، وأن مغامرة ساركوزي لن تكون سوى تجربة قد تدوم لبضع سنوات وقد تنتهي برفضه كما يرفض الأمريكيون جورج بوش وكما يرفض البريطانيون توني بلير.بل إنّ هذه المغامرة المفعمة بالأخطار ستعيد الفرنسيين في السنوات القادمة إلى القيم التي تميّزوا بها عن غيرهم من شعوب أوروبا.وستكون محرّضاً قوياً على تلك العودة.

العنف بين الحداثة والدين

يوخن هبلر باحث في معهد التنمية والسلام في جامعة دوسبورغ -إسن أبدع دراسة موسّعة بعنوان: الحرب القمع الإرهاب العنف بين الحداثة والدين، وجاء فيها: "النقد الذاتي إحدى الشروط الأساسية لتناول الطرفين الغربي والإسلامي لظاهرة العنف

وطرحها في مبادرات الحوار بين المسلمين والعالم الغربي." ينتقد يوخين هبلر الطرق التي سلكها الغرب حتى الآن في طرح وتقييم الجرائم التي ارتكبها، حيث يقول:

"المثير للاهتمام أن طرحنا وتقييمنا للجرائم المرتكبة من طرفنا يتسم بطابع جزئي هامشي كما أن الحال يختلف من دولة غربية إلى أخرى. كذلك أعتقد بأننا، وهذا أمر مثير للاهتمام، سلكنا في هذا السياق خطاً مبنياً على المركزية الأوروبية. فقد انصب اهتمامنا في مجال عرض جرائم العنف المرتكبة منا أثناء الحرب العالمية الثانية وتحديداً في سياق المحرقة "هولوكوست" على الضحايا اليهود الأوروبيين أو البولنديين. أما الضحايا الروس على سبيل المثال فلم نعبأ بهم على نحو يستحق الذكر. بمعنى أننا نربط تلك الأعمال بمجتمعاتنا معتبرين ذلك نمطاً مفرطاً بشعاً من أنماط الحروب الأهلية الأوروبية في حد ذاتها. لكننا نادراً ما نطرح تلك الجرائم في إطار المقارنة مع حالات شبيهة على مستوى الثقافات الأخرى" لقد تجرأ هبلر وانتقد الإهتمام الأوروبي الكبير بأكذوبة المحرقة وبمنحها أهمية أكثر مما تستحقه. فقد ظلّ محظوراً على أبناء الغرب التحقيق أو الكشف أو مناقشة ملابسات المحرقة. وليس هذا المنع ضغوطاً صهيونية على حكومات الغرب. والحقيقة فإن الأحداث التي بدأت بهجمات أيلول، وماتلاها من مظاهر الأسلمة وتهديد أوروبا، هذه الأحداث بدأت تكشف خفايا أوروبا. وخفايا الغرب وسياساته. وهذا مايشكّل مصدر قلق للأنظمة الغربية التي كانت تنوّم شعوبها فوق أرشيف كبير من الأكاذيب والخدع والأساطير.يلاحظ هبلر أن المجتمعات الأوروبية بدأت منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر/أيلول ووقوع هجمات إرهابية ذات خلفية إسلاموية داخل أوروبا، تميل إلى إغفال النظر عن تطورات شبيهة داخل شرائحها الاجتماعية أفرزت هي أيضاً العنف. ولم يستطع هيبلر نكران ذريعة المحرقة النازية لكنه قارنها مع جرائم الأوروبيين الأخرى واعتبر أن الغرب يبالغ كثيراً حين يعترف بإقدامه على إبادة اليهود ويتناسى أفعاله الشريرة التي أباد فيها عشرات ملايين من الروس والألمان. ويعترف هبلر بأن الغرب صنع ثقافة الإبادة ومارسها وظلّت أيديولوجيته الحالية.

مشاريع حكومية لمنع توسع الإسلام في فرنسا

تمنع الدولة توسع الإسلام في فرنسا وذلك عن طريق إجراءات ومشاريع عديدة ومنها حوارات خاصة أو جانبية مع رؤساء البلديات الذين تعتمدهم السلطة، وهؤلاء بالطبع يختلفون عن ممثليّ الدعاة ومنهم قيادات اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا وجامع باريس والاتحاد القومي للمسلمين في فرنسا.

تسعى فرنسا لتحقيق أهدافها عن طريق التواصل مع جامعة الأزهر في مصر والمسئولة عن إعداد الأئمة والدعاة حيث أصبحت تمثل تياراً متشدداً تعدى الإخوان المسلمين خلال السنوات العشر الأخيرة وكذلك تهميش الصفوة المتميزة في مجال التمثيل الفعلي. وهكذا نرى أن التجمع والمشاركة يسمح بهما إذا كان ذلك بعيداً عن الدعوة أو السياسة أو التدخل فيها وإذا كان محافظاً على القوانين التي أصدرتها الحكومة . ويسعى اتحاد المنظمات الإسلامية لإنشاء مدارس إسلامية وذلك في إطار حماية قانون الحجاب في فرنسا. ولكن المعارضين بشدة لهذا القانون يرفضون هذه الفكرة لأنها ستساعد على زيادة الفجوة بين الجالية الإسلامية والمجتمع الفرنسي مما يؤدي إلى عزلها عن المجتمع وانحصارها فيه.

وبالتالي نجد أن الموازنة التي تسعى إليها التجمعات الإسلامية يشوبها الغموض فهي من ناحية تفضّل تأسيس إسلام بعيد عن السياسة ومحايد لها ومن ناحية أخرى تؤكد للسلطات وجود مخاطبين أو دعاة محترمين ويتميزون بقلة المجادلة. وهكذا نجد أن الدور الحضاري للإسلام المنتظر من ساركوزي الذي يميل إلى الثقافة الانجليزية في علاقتها بالعلمانية يمكن أن تصاب بالفشل. فالعلاقة المرنة التي تربط بين اتحاد المنظمات الإسلامية والسلطة تساعد على تواجد إسلامي مستقر ولكن يشوبه الجمود بسبب سلب أدواته منه مما يؤدي إلى وجود خطاب لا يتناسب مع اهتمامات الشباب في المناطق المختلفة مما يؤدي بدوره إلى فقد مكانة التبليغ. وبعدما تفشل المؤسسات المسئولة عن عملية الدمج بين الثقافة الإسلامية والمجتمع الفرنسي في تلبية متطلبات الشباب المختلفة لا يبقى أمامنا إلا التيار السلفي الذي

يهدد فرنسا عن طريق الجهاد ولكن يهددها بشكل اكبر عن طريق خطابه الذي يدعو فيه مؤيديه إلى عدم إرسال أبنائهم إلى المدارس العامة.

وبالتالي فقد ينجح التيار السلفي في إجبار المجتمع على الاعتراف بالمهاجرين وإظهار الهوية المنفردة للجالية الإسلامية. ويعتبر هذا التيار السلفي نواة التطاول على الخطاب الحكومي الفرنسي الرسمي، وهذه النواة تكبر باستمرار ويتصاعد دورها بين المسلمين الفرنسيين، وهي التي انتبه إليها وحذّر منها كثير من المراقبين وتصوروا أن تشكّل في المستقبل إمارة إسلامية صغيرة في إحدى الضواحي الباريسية.

الإنتماء الحضاري المطلوب

إن المسلمين الذين قاموا بتفجير مركز التجارة العالمي وحافلات القطارات في اسبانيا، إنما قاموا بتدمير وسائل حضارية ورموز حضارية هي إرث جديد للبشرية، وأولئك الانتحاريون لم يكن بوسعهم أن يدمروا رموز الحضارة هذه دون أن يكتسبوا قسماً من إرث تلك الحضارة نفسها. بل إنهم استخدموا وسخّروا منتجات تلك الحضارة ليدمروها بواسطتها. فقد ركب الانتحاريون في طائرات وسافروا إلى تلك البلدان وتعلموا لغاتها وأنظمة العيش فيها، ثم تعلّم بعضهم قيادة الطائرات في معاهد أمريكية، أي أنهم اكتسبوا علوماً حضارية حديثة، ثم استخدموا شبكة الأنترنيت والهاتف الجوال والسيارات وغيرها ثم اشتروا بطاقات سفر ودرسوا مخططات الرحلات : وكل ذلك نتاج الحضارة التي كانوا يريدون تدميرها. ثم أنهم درسوا نظريات هندسية حديثة وسخّروها لأجل التدمير.كان يتوجب على تلك الحضارة أن تبهرهم وتجذبهم وتجعلهم ينتمون اليها انتماءً حقيقياً.بل ويستفيدون منها في تطوير بلدانهم العربية. لكن هذا لم يحصل بالنسبة لهم، ولو تسنى له أن يحصل مع أحدهم لكان هذا المنبهر المنتمي سيبدل رأيه وسيعدل عن تدمير واحد من مظاهر الحضارة التي استلبته. وبالمقابل فإن الروسي والياباني والأوروبي والإفريقي عندما يهبط في الولايات المتحدة فإنه سيشعر بانتماء إلى هذه الحضارة العظيمة وإنه لن يشعر بأن شيئاً فيها ليس مخصصاً له هو بالذات،

obeikandi.com

- لكن ماهو السرّ الذي يجعل المسلم العربي يختلف من هذه الناحية عن بقية الشعوب؟؟ ولماذا لايستطيع المسلم خصوصاً أن يتجاوب مع مظاهر الحياة العامة في الغرب ؟ سنعالج هذا الأمر في بحثنا هذا.

تصريحات إسلامية شديدة الحدّة

يعتقد الجهاديون الإسلامويون بأنّ عقيدة المسلمين" بطابعها الجهادي وبتفوقها الإسلامي تحسم كل ما كان ممكناً مع عقيدة المسيحيين الأوروبيين غير الممارسين لدينهم. وإنّ التناقض الاجتماعي في أوروبا يؤدي بالعديد من المسلمين إلى اعتبار أوروبا على أنها قارة ناضجة مهيئة للأسلمة وللسيطرة عليها. وهذا ما تنتج عنه مطالب إسلاموية حادّة اللهجة مثل ذلك تصريح للشيخ عمر البكري الذي قال :

"أريد أن أرى راية الإسلام ترفرف فوق الرقم١٠ بداونين ستريت"(وهو مقر الوزارة الأولى البريطانية).

ويقول إمام آخر يقيم في بلجيكا :

"سوف نتسلم قريباً الحكم في هذه البلاد" وحينها سوف يندم أولئك الذين ينتقدوننا اليوم. فاستعدوا، إن الساعة اقتربت.

ومثل هذه التصريحات القوية تخرّب العلاقة الاجتماعية مع الأوروبيين غير المسلمين وتعيق الحوار معهم إضافة لجلبها الكثير من المشاكل الأخرى. لكن من أين لهؤلاء الذين يطلقون التهديدات الهائلة من أين تأتيهم هذه الثقة ؟ فهل إن رؤيتهم للواقع وللمجتمع الغربي وإقباله على الإسلام هي التي تمنحه كل هذه الثقة في إخطار الغرب وتهديده؟.

عقدة الإختلاط عند المسلمين الأوروبيين

مازال المسلمون حتى عصرنا هذا منشغلين بمشكلة عويصة وهي معاناتهم من عقدة الاختلاط بين الرجال والنساء وهم ينشغلون بوضع قوانين وأحكام ناظمة له.

obeikandl.com

ولّما لم يكونوا قادرين على العيش في حياة غربية طبيعية فلماذا اختاروا الغرب ليقيموا فيه؟ ألم يغامروا ويتحملوا المصاعب بغية الوصول إلى أوروبا؟ ألم يعبروا البحار في قوارب الموت؟

ينظر عادة إلى الغرب على أنه مجال تطوير عام للفرد ويهاجر مواطنونا بغية تطوير جوانب كثيرة فيهم، والمشكلة التي تنشأ لاحقاً هي أنهم يصبحوا أكثر تخلفاً من أبناء بلدانهم الأصلية. فغالبية مجتمعاتنا لم تعد تعاني من عقدة التعامل بين الذكور والإناث، بينما نجد مسلمون في الغرب يعانون من هذه العقدة.

ففي السابع من أيار ٢٠٠٧ ألغيت مباراة في كرة القدم بين فريقين من رجال دين مسلمين ومسيحيين في العاصمة النرويجية أوسلو بسبب اعتراض المسلمين على إمكانية مشاركة قسيسات في الفريق المسيحي وقال أحد منظمي المباراة: إن الخلاف بدأ عندما رفض المسلمون اللعب أمام فريق مختلط من الجنسين بسبب تناقض هذا الأمر مع معتقداتهم الدينية.

وكان من المقرر أن تقام المباراة في إطار مؤتمر للتقريب بين العقائد. ويتضمن المؤتمر نشاطات وفعاليات عديدة ومنها تلك المباراة.

وقال المسلمون إنه من المستحيل أن يلعبوا أمام فريق يضم قسيسات خشية من حدوث احتكاك جسدي.

وذكرت المحطة التلفزيونية العامة "ان ار كي" أن الائمة قالوا إن التلامس الجسماني مع النساء سيكون غير ملائم.

وقال الإمام سيناید كوبيليكا للمحطة التلفزيونية "ان ار كي" في معرض تفسيره لذلك "البعض يقول إن التلامس الجسماني هو المشكلة. فهو يؤدي إلى إثارة مشاعر خاصة قد تؤدي إلى أمر محظور."

وقالت وكالة الأنباء النرويجية إن الكنيسة بذلت محاولات عديدة لمدة يومين لإقناع القسيسات بارتداء ملابس أكثر اتساعاً وسراويل طويلة تغطي الساقين، وعندما فشل هذا الاقتراح قالت الكنيسة إنه يتعين عليهن عدم الاشتراك في المباراة مما أثار استياء القسيسات وأدى إلى استقالة كابتن الفريق.

openkandil.com

غير أن المتحدث الإعلامي قال إن الحصيلة لم تكن سلبية بالكامل فقد توصلنا لفهم أعمق لكل طرف. ومعنى كلامه أنه فهم تخلّف أولئك المشايخ المسلمين.

عقدة تعامل الرجال مع النساء والتي يقال لها خطأً بالاختلاط هذه العقدة تعبّر عن ضعف وتخلف. وقد آن الأوان لأن يتحرر الناس منها. ولعلّه من غرائب الحدث أن تستمر وينقلها المسلمون معهم إلى الغرب.

مخاوف إسلامية من الإبادة

إن المسلمين قلقون بالفعل منذ سنوات من احتمال احتقان مثل هذا الصراع، ومن احتمال حدوث احتجازات جماعية عنيفة، متبوعة بإجلاءات جماعية، بل ويخشى البعض من احتمال حدوث إبادة جماعية للمسلمين في أوربا.ولقد سبق لكريم صديقي عندما كان مديراً للمعهد الإسلامي بلندن في الثمانينات من القرن العشرين أن لوّح إلى إمكانية وجود رغبة كامنة لدى الأوروبيين لإعادة إحياء "طيف غرف الغاز الهتلرية المزعومة، للمسلمين هذه المرة". وذلك في كتابه المسمّى "كن حذراً مع محمد" الذي صدر له سنة ١٩٨٩ .

وكذلك حذّر المسلم البريطاني "شبير أكثر" بقوله:"في المرة القادمة التي سوف تكون فيها غرف للغاز في أوروبا، لن يكون هناك أدنى شك حول هوية الذين سوف يوضعون داخلها" يعني المسلمين.

ويتحدّث "حنيف قريشي" عن صورة مشابهة في روايته المسمّاة (بودا الضواحي)

اذ يهيء بطل روايته لحرب عصابات لأنه يتوقع أن تقوم عندما يهجم البيض على السود والآسيويين ويحاولون وضع المسلمين جميعاً في غرف الغاز.

ولكن يبقى كذلك من المحتمل جداً أن يسعى الأوروبيون إلى تحقيق مطالبهم بطرق سلمية، ويتوقع بعض المحللين الأوروبيين أن يأتي العنف من المسلمين، ويستدلّون على ذلك وفقاً للميولات الأخيرة نحو التخويف والإرهاب. فالعديد من

obeikandi.com

استطلاعات الرأي تؤكد أن حوالي٥٪ من المسلمين البريطانيين يؤيدون تفجيرات لندن في يوم ٧ تموز، وهو ما يشير عندهم إلى قابلية عامة للجوء المسلمين إلى العنف.

والوقائع تدل على أنّ العنف موجود وقد بدأ العمل به بالفعل، فقد مارسته الجماعات الإسلامية ضد الغرب، في تفجيرات لندن ومدريد وواشنطن. وفي أعمال متفرقة في دول العالم كالتفجيرات والاغتيالات التي تستهدف الغرب وأبناءه في السعودية والكويت وغيرها. كما أنّ الغرب يمارس العنف ضد المسلمين منذ عدة قرون. وهو اليوم يصعّدها في العراق وأفغانستان وغيرها. وفي أوروبا نفسها تتم ابادة المسلمين الذين يحاولون دخول أوروبا بالتسللّ غير الشرعي. كما وتقوم المخابرات الأمريكية باعتقال سري واختطاف أفراد من المسلمين.

انبهار العرب بالغرب

يجمع العربي عموماً بين نقيضين ثابتين وهما انبهاره الكبير بالغرب وإعجابه به من ناحية، وكرهه لهذا الغرب وعداؤه له من ناحية أخرى. وإن جميع المغتربين العرب قد عبّروا أفضل تعبيرعن ذهولهم واعجابهم الكبير بالغرب حين اختاروه كموطن بديل وجديد لهم وبنفس الوقت استمروا في معاداته.ويتمثّل هذا الانبهار بصور عديدة نذكر بعضها:

- انبهار بكل النتاجات الغربية من الصناعات والعلوم والنظريات الجديدة وغيرها.
- انبهار بأقوال الأشخاص الغربيين، فاذا كتبنا الآن رأياً لكاتب أو باحث غربي سينبهر به القراء أكثر مما يحققه عشرات الكتب التي يضعها عرب مسلمون. ومازالت طريقة الباحثين العرب تعتمد كأساس مهم للبحث على أقوال أشخاص غربيين، وقد يكون هؤلاء الغربيون لايحملون أهمية علمية كبيرة في بلدانهم. بل إن بعض الأبحاث تقوم على أساس واحد وهو جمع العديد من أقوال الغربيين في موضوع واحد.

obeikandl.com

- الاقتناع بعربي يحمل شهادة علمية من دولة غربية، وسيكون تعامل الناس معه أفضل من مثيله الذي يحمل شهادة عربية(اذا كان طبيباً مثلاً)، وسيجد الأول وظيفة أفضل في كافة الدول العربية.

- تعتبر الهجرة إلى الغرب حلم عدد كبير من الشباب العربي، وفي سبيل تلك الهجرة، أي في سبيل أن تطأ قدماه أرض أوروبا، يخاطر العربي أو المسلم بروحه وماله ونصيبه ويركب البحار أحياناً، ويضع احتمال الموت نصب عينيه ورغم ذلك يقبل بتلك المغامرة الخطيرة. وماذلك إلاّ عمل انتحاري حقيقي.

مرض أوروبا

تنتشر في الوطن العربي حالة ليست طبيعية على الإطلاق، وتكثر العناصر المكوّنة لهذه الحالة التي يمكن أن نعتبرها مرضية. فبين العرب أفراد يحملون حلماً كبيراً بالوصول إلى أوربا.

ويعتبرونها الفردوس المفقود. وموطن الأحلام، وأبعد مايمكن أن يحلمون به.وثمّة أشخاص حاولوا السفر إلى بلد الأحلام عدة مرات. وآخرون طردوا منها وأعادوا المحاولة. ولو تيسّر لنا أن نستطلع آراء الشارع العربي لوجدنا أن نسبة كبيرة يعتقدون بأن وصول العربي إلى أوروبا يعني تخلّصه من كافة المشكلات التي تواجهه في أيامه.وأنّ حياته هناك تعني أنه سيكون مرتاحاً تماماً وسيعيش بدون أية مشاكل أو عقبات. أي أن كافة المشاكل المعيشية والاجتماعية والسياسية عند البعض والمشاكل اليومية من متاعب العمل والتعامل مع الآخرين والفقر والفشل وكل ذلك يعتقد هؤلاء بأنهم سيتخلصون منه عندما تطأ أقدامهم أرض أوروبا.

وهذا الحلم ليس الاّ حلماً بالفردوس الأرضي.ولمّا كانت أوروبا بالنسبة لهم كالجنة المحرومين منها، فتلك حالة غير طبيعية، وإن هي إلاّ مرض نفسي واجتماعي نطلق عليه هنا اسم "مرض أوروبا".ونطلق هذا المصطلح لأول مرة على الصعيد العالمي. وإنّ مانسميه هنا بمرض أوروبا يشكّل عاملاً قوياً لسعي مجتمعات إسلامية كبيرة لجعل أوروبا مستعمرة إسلامية جديدة. ويدعم هذا المرض ويقويه

obeikandi.com

غنى أوروبا مالياً وخصوبة وجمال الطبيعة فيها الذي تكوّنه الخصوبة والأمطار الغزيرة. في حين أنّ العرب الحالمين يعيشون في مناطق صحراوية جافة بشكل عام. ويضاف إلى ذلك الحريات الشخصية التي يعيشها الفرد الأوروبي والديمقراطيات الجزئية المزيفة التي تخدع المواطن.

الإنتحار نحو الحضارة الأوروبية

الاندفاع العربي في الهجرة إلى أوروبا، حالة فريدة لاتعرفها أية شعوب عالمية معاصرة. وللتعرّف على هذه الحالة يمكننا أن نفترض بأن تسمح أوروبا باستقبال مواطنين جزائريين وتسمح لهم بالاقامة فيها دون عقبات أو شروط. ولنتخيل ماالذي يحصل بعد سنة واحدة. مما لاشك فيه أن خمسة ملايين جزائري على الأقل سيزحفون نحو أوروبا خلال سنة واحدة. ومن دولة عربية واحدة. وسنرى نفس النتيجة في أية دولة عربية أخرى. أي أن الرغبة في الهجرة نحو أوروبا هي هاجس العرب المسلمين بكافة فئاتهم.كما تعتبر أوروبا بالنسبة للعرب الباب نحو العالمية. فمن خلالها يدخل العربي العالم الحديث المتحضّر. أوضاع صعبة تلك التي يعانيها المضطرون والحالمون بالهجرة إلى أوروبا، فمن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الصعبة التي يعيشونها في بلدانهم، إلى تشديد الإجراءات في بلدان اللجوء أو الهجرة يضطر هؤلاء الراغبون في الهجرة إلى البحث عن الوسائل أياً كانت عواقبها، لتحقيق هدفهم، وهنا تبدأ مافيا الهجرة أو ما يطلق عليها "مافيا المتاجرة بالبشر" في اصطيادهم واستغلال ظروفهم بالوعد بتحقيق رغباتهم.وإن كان التقرير التالي يلقي الضوء على تلك المافيا التي تسببت وسائلها في أحيان كثيرة في وقوع مآس للمهاجرين كالغرق في البحار والمحيطات، أو إلقاء السلطات القبض على هؤلاء المهاجرين وإعادتهم من حيث أتوا، في أفضل الأحيان، إن لم تتركهم في عرض البحر مشردين، لا هم عادوا إلى بلادهم ولا هم هاجروا إلى تلك البلدان رغم كل ذلك، إلا أن هناك أطرافاً أخرى تشترك في تلك المأساة التي يواجهها هؤلاء اللاجئون.

من يقتل المهاجرين ؟

الطرف الأول: البلدان التي لم توفر لأبنائها حياة كريمة بسبب الاستبداد أو الفساد، مما دفعهم إلى البحث عن كل الوسائل للهجرة إن لم يكن الهرب منها بحثاً عن حياة أفضل، وإن كلفه ذلك ماله بل حياته.

الطرف الثاني: هو الظلم الأوروبي الجديد الواقع على هؤلاء اللاجئين والمهاجرين، سواء كانت وسائل ذلك الظلم فى إصدار قوانين جديدة أو تعطيل قوانين عادلة كانت موجودة، أو العنف بجميع أشكاله غير المبرر غالباً ضد هؤلاء الباحثين عن حياة كريمة فى أوروبا، وهي في النهاية إجراءات ناتجة عن عقدة "الإسلاموفوبيا" التي أضحت تسيطر على عقلية صناع القرار في كثير من البلدان الأوروبية.

وللمقارنة بين قدرة أي دولة على استيعاب المهاجرين إليها، نذكر أن سورية تستقبل العرب الراغبين في الإقامة فيها باستمرار، ففي ١٩٤٨ استقبلت مئات الآلاف من العرب الفلسطينيين، وفي ١٩٦٧ تكرر وفود النازحين، وفي الحرب الأهلية اللبنانية وفد إلى سورية أكثر من نصف مليون لبناني، وخلال سنوات حكم صدّام وفد إلى سورية حوالي نصف مليون عراقي، وفي الحرب اللبنانية ٢٠٠٦ استقبلت سورية مئات الآلاف من اللبنانيين، وخلال هذه الأيام مازالت تستقبل في كل يوم ٣٠٠٠ عراقي، وقد أصبح عدد العراقيين المقيمين في بلدهم سورية حوالي ٥،١ مليون نسمة.وصورة مشابهة نراها في السعودية ودول الخليج حيث يقيم ويعمل فيها أكثر من عشرة ملايين من العرب والمسلمين وغيرهم من شعوب العالم. وبمقارنة هذه الصورة مع صورة أوروبية نشاهدها على شاشات التلفزة كل يوم، وهي ترينا بضعة أشخاص من العرب الذين يحاولون الدخول إلى أوروبا بواسطة قارب بحري، فتقوم قوات مراقبة السواحل باغراق القارب بمن فيه، وتقوم بإبادة هذا القادم الجديد قبل أن تطأ قدماه أوروبا. تلك هي العنصرية وسياسة الكره وعمل الإبادة.

الطرف الثالث: هو اللاجئ أو المهاجر الذي سعى إلى الهجرة بأي طريقة، حتى لو كان ذلك بوسائل غير مشروعة تكلفه ماله وحريته، بل حياته ومستقبل أسرته،

obeikandl.com

فأصبح هذا المهاجر ضحية ومسؤولاً في الوقت ذاته عن موته وفقدانه. فهو الذي يدرك خطورة إقدامه على الهجرة غير الشرعية وهو الذي وافق بعمل انتحاري حقيقي على خوض التجربة المهلكة.

عقدة خوف المسلمين من تجديد الفكر الإسلامي

الطبيعة العامة السائدة عند المسلمين بشكل عام وهي الموقف السائد الذي يعبّر عنه أغلب المسلمين أفراداً منوعين ومشايخ وعلماء دين وفقهاء هي الخوف من أي تجديد في الفكر الإسلامي، ورغم معرفتهم بمضمون الآية القرآنية الكريمة التي تدعوهم للتطور وترك موروث الآباء والأجداد والتي تقول (هذا ماوجدنا عليه آباءنا) فهم يلتزمون بالحفاظ على الموروث دون تمييز بأنه إسلامي أو اجتماعي.

فتجربة الإسلامية العلمانية التركية هي اليوم أفضل درس للمسلمين العرب توجب عليهم أن ينهلوا منه بشغف، بينما وجدنا إعلامنا وكتّابنا ومفكرينا ذهبوا على الفور ينتقدون التجربة التركية ويحاولون البحث عن نقاط عيوب فيها. بل وذهب برنامج تلفزيوني في الجزيرة ليقول إنهم الخطر العثماني الجديد الذي يهدد العرب ويعيد مجد الإمبراطورية العثمانية.!. العقل المتطرف الإسلامي يحرص على أن يعيش دوماً في الماضي ويرفض مستجدات الحاضر. فالقضية التي كان يرفضها منذ خمسين سنة وافق على تقبلها منذ ثلاثين سنة، والقضية التي كان يرفضها منذ ثلاثين سنة وافق على تقبلها منذ عشر سنوات والقضية التي يرفضها اليوم سيوافق على تقبلها بعد عشر سنوات. والأمثلة على ذلك كثيرة جداً: فقد كانت جامعات عربية تحرّم تدريس الفلسفة والجغرافيا منذ عقود ووافقت على إيقاف تحريمها بعد ذلك. كان التطرف السلفي يحرّم شرب القهوة ويحرم تدخين السجائر وبفضل شيوعهما فقط لم يعد هذا التحريم وارداً عنده.